الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم اللغة والأدب العربي

مطبوعة بيداغوجية معنونة بـ:

محاضرات في مادّة علم البلاغة العربية

موجّهة لطلبة السنة الأولى جذع مشترك

إعداد: د/ عماري مالك

الرتبة: أستاذ محاضر قسم "أ".

السنة الجامعية

١٤٤٦هـ/٢٠٢٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

1. **معلومات المقرر:**

المؤسسة التعليمية (الجامعية): جامعة ابن خلدون تيارت

الكلية: الآداب واللّغات والفنون.

القسم: اللّغة العربية وآدابها.

الفئة المستهدفة: طلبة السنة أولى جذع مشترك.

المقياس: البلاغة العربية.

نوع الوحدة: أساسية

نوع الدروس : محاضرة

المعامل: 02

الرصيد:04

الحجم الساعي السداسي: 45 ساعة

الحجم الساعي الأسبوعي: 1.5 ساعة ونصف.

طريقة التقييم: تكوينية.

المراقبة المستمرة: 25٪ متواصل

الامتحان النهائي: 75٪ امتحان كتابي.

2. أهداف المقرر:

تهدف هذه المادة إلى تعريف الطلبة بعلم البلاغة العربية.مفهومه، ونشأته وتطوره، وفروعه، والتحولات الأساسيةالتي طرأت على هذا الحقل. باستقراء جهود البلاغيين والنّقاد في حقل النظرية البلاغية منذ عصر التدوين وحتى عصر ما استقرّ عليه العلم واكتمل، من القرن الثالث هجري، إلى القرن السابع والثامن هجري. كما تهدف هذه المحاضرات إلى الكشف عن جانب من جوانب البلاغة الإجرائية التطبيقية العملية.

3. محتوى المقرر:

المحاضرة الأولى:البلاغة (مفهومه ونشأته وتطوره وفروعه)

المحاضرة الثانية: أثر الفرق الكلامية في تأصيل البلاغة (المجاز عند المعتزلة نموذجا).

المحاضرة الثالثة:الأسلوب الخبري وأضربه.

المحاضرة الرابعة:الأسلوب الإنشائي وأضربه.

المحاضرة الخامسة:التقديم والتأخير.

المحاضرة السادسة: الفصل والوصل.

المحاضرة السابعة:الحقيقة والمجاز

المحاضرة الثامنة: أنواع المجاز.

المحاضرة التاسعة: التشبيه وأضربه.

المحاضرة العاشرة: الاستعارة

المحاضرة الحادي عشر: الكناية.

المحاضرة الثانية عشر: المطابقة والمقابلة.

المحاضرة الثالثة عشر: السجع الجناس.

المحاضرة الرابعة عشر: أسلوب القصر.

المحاضرة الخامسة عشر:التورية.

مقدمة:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم:

كلّ من يتعامل مع ظاهرة البلاغة العربية يجد في نفسه سؤالا ينتابه ويفرض عليه إجابة: ما البلاغة؟ هذا السؤال في الحقيقة ليس سهلا، فمنذ ميلاد الدراسات البلاغية أثير وبشدّة، ما البلاغة؟ ويبدو السؤال في الظاهر ساذجا بسيطا إلاّ أنّ المتأمل الجادّ يرى فيه من التعقيد والإشكال ما استدعى وقوف كبار النّقاد العرب وبلاغيّيهم على جوهر مفهومه. هذا التعقيـد جعل المفاهيم تتكاثر وتتجدد وتتناسل منذ أن بدأ عصر التدوين إلى أن استقرّ المفهوم في القرن الثامن مع العالم النحرير الخطيب القزويني.

لقد حاول البلاغيون عبر سيرورة زمنية تاريخية ممتدة أن يفتحوا فضاءات النّظر، ومجالات البحث عن التصورات الفنّية لهذه الظاهرة، واستخلاص المفاهيم والماهيات بعد إخضاعها للأسس العقلية القائمة على الهويّة النّقدية والإبداعية العربية الخالصة، فتمّ لهم محاصرة البلاغة بمجموعة من القواعد والقوانين بما يقبض على أسرارها ويؤسس لعلومها، فكانت نظريتهم البلاغية مهيمنة على حقول الدراسات الأخرى التي عرفها العرب، وكانت نظرية تأويلية بامتياز، وهذا لأنّ " علم البلاغة علم شريف عظيم الشأن، لكونها كمال الإنسان، وأصل للبيان". [1]

من هنا رحنا نسلط الضوء عن حقيقة علم البلاغة العربية ضمن عمل هو عبارة عن مجموعة من المحاضرات قدمتها على مدى سنتين لطلبة السّنة الأولى جذع مشترك ليسانس بقسم اللغة والأدب العربي بالمركز الجامعي عبد الله مرسلي - تيبازة- سنة 2019/2018م، وملحقة قصر الشلالة، جامعة ابن خلدون . تيارت- سنة:2019م/2020م، وقد شملت هذه المحاضرات أهم المحاور التي تقوم عليها البلاغة العربية: مفهومه، ونشأته

[1]. الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد بن علي بن محمد الجرجاني، تح: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب: علي حسن، ميدان أوبرا- مصر، طبعة جديدة، 1997م، ص1.

وتطوّره وفروعه، والتحولات الأساسية التي طرأت على هذا الحقل حتى صار علما قائما بذاته، مستقرئا جهود النّقاد والأدباء وعلماء الكلام في هذا الموضوع منذ بداية التدوين إلى عصر اكتمال التأصيل، مع اشتمال هذا المحاضرات على جانب من جوانب المتعلقة بالتطبيق.

د/ عماري مالك

المحاضرة الأولى

علم البلاغة (مفهومه ونشأته وتطوره وفروعه):

- **توطئة:**

قبل الخوض في فضاء الحقل المعرفي المرتبط بعلم البلاغة العربية، والبحث في جوهر مفهومه ونشأته وتطوره وموضوعاته، يجب أن نتوقف قليلا لنستجلي المفاهيم الأولية لهذا المصطلح الهام، لنؤسس لأرضية صلبة ننطلق منها للوصول إلى دروب الفهم الشافي، وسبل الكفاية.

ابتداء وككل حقل معرفي استوفى شروطه واستوى ليكون علما قائما بذاته، كان لزاما على أهل الاختصاص من العلماء تسمية هذا العلم ليعرف به، فأطلقوا على كل فنّ من القول والبيان والإيضاح بلاغة، ومن منطلق هذا راح النقاد والأدباء والمتكلمون يقدمون أشكالا، وألوانا من المفاهيم المختلفة للبلاغة، اختلاف تنوع وشرح وتفسير، لا اختلاف وتضاد وتضارب.

للولوج إلى هذا العلم لابد أن نمر عبر مسار الدلالة اللغوية، والاصطلاحية لمفهوم البلاغة لنقرب وجهات النظر، ونعطي مقاربة علمية يتضح من خلالها هذا الطرح المراد تحقيقه.

1. مفهوم البلاغة(لغة واصطلاحا):

وردت مفاهيم البلاغة عند النقاد والبلاغيين العرب القدامى متباينة تباين اختلاف لا تضاد، ويرجع هذا إلى خلفية تناول مصطلح البلاغة، فمنهم من تناوله من منطلق طبيعته، ومفهومه من حيث الطبيعة أيضا منهم من عرّفه انطلاقا من جزئية،

ومنهم من عرفه من منطلق كليته، ومنهم من تناوله من منطلق وظيفته، وهناك من جمع بين الطبية والوظيفة، فجاءت مفاهيمهم لمصطلح البلاغة ثريا ثراء البلاغة نفسها.

1.1.في اللغة:

عند الرجوع إلى المعاجم اللغوية كلسان العرب لابن منظور نجد أن معنى البلاغة لغة:"بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبَلاَغًا : وصل وانتهى؛ وأبلغه هو إبلاغا وبلّغه تبليغا. يقول أبو قيس بن الأسلت السلمي:

قالتْ ولم تقصِد لقِيلِ الخَنَى مهلا ! فَقَدْ أَبْلَغْتَ أَسْمَاعِي*

... أي قد انتهيت فيه وأنعمت.

والبلاغة: الفصاحة... والرجل بليغ وبَلْغٌ وبِلْغٌ : حسن الكلام فصيحه يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه" .[2] وفي أساس البلاغة للزمخشري: " بلغ الرجل بلاغة فهو بليغ ... وأَبْلَغْتُ إلى فلان : فعلت به ما بلغ به الأذى والمكروه .[3] وجاء في القاموس المحيط لفيروزآبادي : بلغ المكان بلوغا وصل إليه أو شارف...وأمر الله بَلَغْ أي بالغ نافذ يبلغ أين يريد به".[4]

* وردت في ديوان الشاعر الأسلت لفظة الخنى بالألف الممدودة بدل المقصورة (ديوان أبي القيس بن الأسلت، بن الأسلت، تح: حسن محمود باجوده، دار التراث، القاهرة، 1391هـ، د ط، ص:11.

[2]. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت- لبنان، ط3، 1994م، مج:8، ص:420.

[3]. أساس البلاغة، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ضبط وشرح: محمد نبيل طريفي، دار صادر،بيروت- لبنان، ط1، 2009م، ص: 50 .

[4]. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشيرازي،إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط8، (د تا)، ج:3 ، ص: 100 .

بانتقالنا إلى معجم الصحاح للجوهري، " فالبلاغة من الإبلاغ. والإبلاغ: الإيصال... والبِلَغينُ : الداهية".[5]

ومن هنا نستطيع الربط بين المعنى اللغوي المعجمي، والمفهوم العام للبلاغة من خلال ما تقدم من تعاريف، لنصل أن البلاغة جاءت بمعنى: البلوغ، الإيصال، الإمتاع، الإفهام، الانتهاء، التأثير، النفوذ إلى الشيء.

2.1.في الاصطلاح:

سنحاول أن نقدم جملة من المفاهيم لأشهر البلاغيين، انطلاقا ممّن أسسوا للّبنة الأولى لمصطلح البلاغة، وصولا إلى النّضج والاستقرّار، ويعتبر النّحاة أصحاب السبق، والفضل في تناول البلاغة من خلال آراءهم التي ضمنوها مباحثهم النحوية، والتي بلا شك تستحق منّا التسجيل والتنويه، فها هو ذا الخليل بن أحد الفراهيدي (ت:175ه) يقدم لنا أكثر من مفهوم للبلاغة. يقول: " كل ما أدّى إلى قضاء الحاجة فهو بلاغة . فإن استطعت أن يكون لفظك لمعناك طبقا ولتلك الحال وفقا، وآخر كلامك لأوله مشابها، وموارده لمصادره موازنا فافعل ".[6] وأنها: " كلمة تكشف عن البقية ".[7]

ثم يأتي الجاحظ، ولعله أكثر العلماء الذين استفاضوا في تقديم تعاريف متنوعة للبلاغة نقلا عن الأمم الأخرى كالهنود واليونان والفرس، بل لم يقتصر على هذا فراح يقدم أراء الحكماء، والفقهاء والأدباء، والأمراء، والمتكلمين، فذكر قول العتابي لما سُئل: ما البلاغة؟ قال: (كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو

[5]. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط4، 1990م، ص: 1318 .

[6]. الرسالة العذراء، ابن المدبر، ص: 48. نقلا عن أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسن، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط)، 1998م، ص: 55.

[7]. العمدة (في محاسن الشعر وآدابه ونقده)، أبو علي الحسن ابن رشيق القيرواني، تح: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2001م، ج1، ص: 242.

بليغ)."[8]وذكر تعريف ابن المقفع للبلاغة بأنها: "اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة: منها ما يكون في السكوت؛ ومنها ما يكون فيالاستماع؛ ومنها ما يكون في الإشارة؛ ومنها ما يكون في الحديث؛ ومنها ما يكون في **الاحتجاج**".[9]

وقيل لعمرو بن عبيد: ما البلاغة؟قال: إنك إن أوتيت تقرير **حجة** الله في عقولالمكلفين، وتخفيف المؤونة على المستمعين، وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين بالألفاظ المستحسنة في الأذان، المقبولة في الأذهان، رغبة في سرعة استجابتهم، ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة، على الكتاب والسنة كنت قد أوتيت فصل الخطاب".[10]والملاحظ من قول ابن المقفع وعمرو بن عبيد أن مفهوم البلاغة أخذ وجهتين: وجهة اللذة والإمتاع، ووجهة التأثير والإقناع.

كما قدم لنا مفهوما آخر بحيث: "لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه. ولفظه معناه؛ فلا يكون لفظه إلى سمعك، أقرب من معناه إلى قلبك ".[11]ومن خلال التقديم المتنوع للتعاريف أصبح البيان عنده بمعنى الفهم، من جهة، وإظهار الحجة، من جهة ثانية.[12]، و. أيضا. صفة للكلام الجيد، وإن كان لا يخرج عن حيّز المفهومالذي يحوم حول إبراز الغاية من البلاغة.

وأمّا الرمّاني (ت:386ه) فالبلاغة عنده بالمعنيين:صفة للكلام الجيد، ومعنى البيان جميعا، وفي هذا الصدد يقول: " وليست البلاغة إفهام المعنى(...)ولا البلاغة أيضا بتحقيق اللفظ على المعنى(...)وإنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من

[8]. البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة- مصر، ط9، (د تا)، ص: 45.

[9]. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط7، 1997م، مج:1، ص:128،129.

[10]. المصدر نفسه، مج:1، ص: 114.

[11]. المصدرنفسه، مج:1، ص:127.

[12]. ينظر، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، (د ط)، 2003م، ص:38.

اللفظ".[13] وهو مفهوم لا يختلف عمّا قدّمه الجاحظ، إذ كونه لا يخرج عن حيز إبراز الغاية من البلاغة، بتحققها من خلال بعدين: الأول بلاغي حجاجي، والثاني أسلوبي تداولي؛ فمعنى (إيصال المعنى إلى القلب) يأخذ بعدا بلاغيا حجاجيا؛ أي التأثير عن طريق الإمتاع والإقناع، ومعنى (أحسن صورة من اللفظ) يأخذ بعدا أسلوبيا تداوليا من خلال تلك التحولات البنيوية داخل الخطاب التي جسدها عامل اختيار الألفاظ ضمن التراكيب التي تليق بها، وحسن تصويرها، وإجادة سبكها وحياكتها.

لم يختلف مفهوم البلاغة عند أبي هلال العسكري (ت:395ه) عمّا قدّمه الرمّاني، والذي جاء بمعنى البيان. يقول: " والبلاغة هي إنهاء المعنى إلى القلب فكأنها مقصورة على المعنى".[14] فكذلك لم يغفل المعنى الثاني والذي يرتبط بالحجة يقول: "البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن".[15] كما أنه لم يقتصر على هذين المفهومين فيقول نقلا عن عبيد الله بن عتبة:"البلاغة دنو المأخذ وقرع **الحجة**".[16] وقال أيضا: "البلاغة التقرب من المعنى البعيد، والتباعد من حشو الكلام، وقرب المأخذ، وإيجاز في صواب، وقصد إلى **حجة**، وحسن استعارة".[17] وقال: " البلاغة قول مفقه في لطف؛ فالمفقه: المفهم، واللطيف من الكلام: ما تعطف به القلوب النافرة، ويؤنس القلوب المستوحشة، وتلين به العريكة الأبيّة المستصعَبة، ويبلغ به الحاجة، وتقام به **الحجة**".[18]

---

[13]. النكت (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، تح: خلف الله و زغلول سلام، دار المعارف، مصر، (د ط)، 1968م، ص: 69.

[14]. كتاب الصناعتين في (الكتابة والشعر)، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تح: علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1952م، ص: 8 .

[15]. المصدر نفسه، ص :10.

[16]. المصدر نفسه، ص:16.

[17]. المصدر، نفسه، ص:47.

[18]. المصدر نفسه، ص :51.

يتّضح لنا من خلال هذه المفاهيم المقدّمة لمصطلح البلاغة أنّها تحاول إبراز الغاية من البلاغة، وهي تمثّل مرحلة بدايات المصطلح، ومع ظهور عبد القاهر الجرجاني (ت: 471 هـ)، ظهر مصطلح البلاغة بمظهر مغاير عما ألفته، فأصبح معنيا بخواص التركيب والمقام الذي يؤدى فيه. فمع عبد القاهر أخذت تنحوا منحى آخر؛ منحى علميا "باستخدام منهج خاص مزج فيه بين الفلسفة الكلامية والجدل المنطقي، والروح الأدبية، والقدرة على النقد وصنعة الكلام. ثم مضى يجمع تلك الملاحظات ليخضعها لضرب من التحليل العقلي، والنفسي البصير، فأسس لنظرية مرتبة مفصلة عرفت بنظرية النظم. ونلاحظ أن فهمه للبلاغة على أنها النظم جاءت بمفهوم: ترتيب المعاني في النفس، لا ترتيب الألفاظ في النطق وهي صنعة يستعان عليها بالفكر والروية".[19]

ثم يبدأ المصطلح في النضج والتطور مع كلّ من الرازي، والسكّاكي والقزويني،ثم فاكتمل مفهوم مصطلح البلاغة واستقرّ على كونه: " مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته".[20] وفي هذا التعريف خمسة معاني:

أ_ الكلام:ملكة لغوية يقتدر بها للتعبير عن مقصود ما تختلجه النفس البشرية.

ب_ الحال:الأمر الحامل المتكلم على إيراد صورة مخصوصة، تراعى فيها نفسية المخاطب وطبيعته، والظرف المحيط به. فالكلام المسوق إلى المكلوم غير الكلام المسوق إلى غيره، والحديث إلى الكبير غير الحديث إلى الصغير، والحديث إلى الذكي غير الحديث مع متوسط الذكاء أو قليله، فالأول يكفيه الإشارة، والثاني يعمد فيه إلى الشرح، والأخير، يحتاج إلى التبسيط، وهكذا دواليك.

ج_ المقتضى: الصورة المخصوصة التي تورد عليها العبارة.

[19]- ينظر، تربية الذوق البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، عبد العزيز عبد المعطي عرفة، دار الخلود للتراث، مصر، ط1، 1983م، ص: 186 – 217 .

[20]- تلخيص المفتاح، القزويني محمد بن عبد الرحمان، مكتبة البشرى، باكستان، ط1، 2010، ص:10.

د_ مقتضى الحال: هو ما يدعو إليه الأمر الواقع، " وهو الاعتبار المناسب".[21]

وقد أدرك البلاغيون أنّ للكلام صورا مخصوصة وصياغة محددة، تستخدم في أحوال خاصة ومقامات محددة فجاءت مقولة:"لكل مقام مقال"[22]، وهيئات الكلام في لسان العرب كلها استجابات لتصورات حال من نكلمهم، ومن هنا جاءت المقولة المشهورة التي قالها ابن مسعود رضي الله عنه: "ما أنت بمحدّث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم، إلّا كان لبعضهم فتنة"[23] وعن علي رضي الله عنه: " حدّثوا النّاس بما يعرفون، أتحبّون أن يكذّب الله ورسوله".[24]

2. علم البلاغة العربية؛ نشأته وتطوره:

- **توطئة:**

لا شكّ أنّ أي علم لا يولد مكتملا، بل يولد وينشأ ويتطوّر بجهود أهل العلم من المختصين، وهذا ما يفسّر التطوّر الذي صاحب البلاغة العربية أثناء التقعيد، إلى أن وصل لتلك المرحلة من النّضج التأصيلي، والكمال في الشرح والتحليل، ولم يكن لعلم البلاغة من فضل على ذويه من العلوم سوى الوصول إلى موضع السرّ في الإعجاز القرآني، والكشف عمّا في العربية من نفائس لا تقف عند حدّ، وبيان فضلها عن سائر اللّغات.

1.2. العصر الجاهلي:

يقتضي الحديث عن موضوع نشأة البلاغة العربية الرجوع إلى ما وصلنا من أدب عربي؛ شعره ونثره، والذي تمثله مرحلة العصر الجاهلي، فقد كان الأدب في تلك المرحلة قد

---

[21]- الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، الخطيب القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت، (د تا)، (د ط)، ص12.

[22]- ينظر، كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، أبو هلال العسكري، ص :27

[23]- رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه.

[24]- رواه البخاري عن علي رضي الله عنه موقوفا.

بلغ منتهاه في حسن النّظم وبراعة التصوير والتفنن في الإيجاز والبديع، وقد كان الشّعر في مقدمة تلك الأجناس الأدبيـة، التي احتفى بها العرب، هذا ما جعل العرب الجاهليون يفضلون قولا على قول ونظم على نظم، كما هو ظاهر في مناظرات الشعراء، وفيما يدور في أسواق العرب وأنديتهم.[25]

والباحث في البلاغة قبل عصر التدوين يجد نفسه أمام إشارات بلاغية ولّدتها الأراء النقدية التي كانت تعين الكثير من الشعراء على تنقيح نظمهم، وتقويم ما يصيبه من اختلال، وهذا واضح من تلك المساجلات النّقدية، التي عرفتها المحاكم الشّعرية، التي كان يتصدّرها أمثال النّابغة الذّبياني، والخنساء، وفيما كان يدور في أسواق العرب وأنديتهم، ولا شكّ أنّ العرب في العصر الجاهلي قد عرفوا بعضا من الأحكام البلاغية التي كانوا يطبّقونها على الشّعر ويخضعونه لها، قبل أن يصل فنّ القول عندهم إلى تلك الدّرجة العالية من البلاغة والفصاحة، وإن كانت تلك الأحكام البلاغية لم تصلنا، فلا يعني ذلك انعدامها، فقد" تكون المصطلحات البلاغية والنّقدية غير معروفة في ذلك العصر، لكن الفنون البلاغية التي وردت في الشعر تشهد أنّ العرب كانوا يعرفون الأساليب المختلفة والصّور المتعددة التي تزيد كلامهم جمالا".[26]

2.2. عصر صدر الإسلام:

بالانتقال إلى عصر صدر الإسلام، بدأت تلك المباحث البلاغية تنمو شيئا فشيئا، بفعل النّص القرآني المعجز، الذي كان حجة بلاغية، تحدّى بها العرب البلغاء، وأظهر عجزهم، وأبان عن ضعف مقدرتهم عن الإتيان بمثله، رغم مهارتهم في معرفة طرائق أساليب فنّ القول، وتفاضل أضرب نظمه، وإن كانت تلك الأحكام البلاغية، والملاحظات النّقدية لنظم الكلام جزئية، تقوم على مبدأ الذوق والفطرة دون الحاجة إلى التبرير، إلّا

[25]. ينظر، أسواق العرب ومجتمعاتهم ضمن كتاب بلوغ الأرب للآلوسي، ج1، ص264-278.

[26]. ينظر، البحث البلاغي عند العرب، أحمد مطلوب، منشورات دار الاحظ، بغداد، 1982، ص11.

أننا لا يمكن تجاهلها وغضّ الطّرف عنها، كونها أحكاما مهّدت لمرحلة التقعيد والتأصيل، الذي عرفته مرحلة التدوين في العصر العباسي.

كما كان لرسول الله . صلى الله عليه وسلّم . طريقته في البلاغة، وأحاديثه تثبت بلاغة منطقه الذي بلغ ذروة البيان، من مجاز وإيجاز، بل سلك في سبيل الدعوة، الإقناع البلاغي الذي أذعن له العرب، فقال: "وأوتيت جوامع الكلم".[27]

ففي العصر الأول من فجر الإسلام، لم يكن العرب بحاجة إلى بيان بلاغته، وأضرب نظمه، فقد كانوا يتلقونه سليقة، كما لم تكن لهم حاجة إلى تبرير إعجاز القول فصاحة وبلاغة، لأنّهم كانوا يحملون عللهم في صدورهم.

3.2. العصر الأموي:

مع فترة العصر الأموي بدأت عجلة تطور البحث البلاغي تتحرّك، بفعل ازدهار الحياة العقلية، وظهور الكثير من الفرق الكلامية كالمعتزلة والمرجئة والشّيعة والخوارج وغيرهم، وانتشار الجدال في المسائل العقدية، والسّياسية، التي اعتمدت نّمط صناعة الكلام وفنه، والجدل الكلامي بطريق العقل في الدفاع عن العقائد، ودحض حجج الخصوم، ومن تلك الصّناعة الكلامية، العناية بطرق البيان، ودلالة الألفاظ. وشواهد ذلك كثيرة منها ما ورد عن محمد بن كُناسة، يقول: كان الكميت يقول: سبقت النّاس في هذه القصيدة من أهل الجاهلية والإسلام إلى معنى ما سبقت إليه في صفة الفرس حين أقول:

يبحث التُرْب عن كواسر في المشْ رِب لا يجشِمُ السُّقاةَ الصَّفيرا[28]

وامتدّ هذا النّشاط ليطال المسائل المتعلّقة بالشعر، فكثر في الأندية الأدبية، ومجالس الخلفاء والأمراء، وتوسعت معه في هذه الفترة الملاحظات النّقدية، لوثاقة الصلة

[27]- من حديث أبي هريرة عن رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ:نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ.". كتاب صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1955، ج1، ص:372.

[28]. الأغاني، الراغب الأصفهاني، ج17. ص11.

بين النقد والبلاغة- ونمت نموا مطّردا ساهم في تهيئة الأرضية للتأصيل للبلاغة - كما سنراه في العصر العباسي-، وكانت لهذا التطوّر أسباب نذكر منها:

_ ما طرأ من لحن وضعف في بلاغة بعض العرب بعد اتساع دائرة الإسلام، ودخول من ليس منه.

_ ظهور التّيارات الفكرية الأجنبية، والمذاهب الكلامية، وما أثارته من أفكار مرتبطة بإعجاز القرآن الكريم، محاولة منهم لفهم النّص القرآني.

_ انتشار الكتب المترجمة.[29]

_ ازدياد اتصال العرب بغيرهم من أهل المذاهب والنّحل الأخرى، وكثرة الجدال بين المذاهب الإسلامية.[30]

ومن بين الأسباب أيضا:

_ تأثر النّقاد العرب والبلاغيون بمصدر عظيم، هو القرآن الكريم، الذي تألّف من جنس الحروف والكلمات والتراكيب التي تألّف منها الشعر، ونثر الخطب، لكنّه فاقهما براعة وبلاغة، وتجاوزهما تأليفا ونظما، وهذا ما شهد له أعداؤه قبل أوليائه.

_ المقارنة بين أسلوب القرآن وأسلوب غيره من الكلام، استدعى التنبّه إلى الخصائص الفنية والجمالية، لفظا ومعنى، مفردة وتركيبا.

_ توجّيه الاهتمام بتفسير القرآن الكريم العلماء إلى كشف الظواهر البلاغة.

_ مساهمة الدرس الإعجازي في الكشف عن القضايا البلاغية.

[29]. ينظر، إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تح: سيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، (د ط)، (د تا). ص7.

[30]. ينظر، المصدر نفسه، ص7.

_ تحضر العرب، استقرار دولتهم الإسلامية، الانفتاح على حضارات أخرى، ازدهار العلوم ورقيّها.

هنا يستوقفنا تساؤل: هل ظهرت كتابات بلاغية في العصرين (صدر الإسلام والأموي) تضبط قواعد البلاغة ضبطا علميا؟

الإجابة: لم يصلنا شيء من هذه الكتابات التي تؤصّل لمباحث بلاغية، بل ما ذكر من ملاحظات نقدية فيما ذكرناه سلفا، تمّ تدوين مروياتها في العصر العباسي، في مؤلفات نقدية وبلاغية وأدبية، ممّا سنراه في مبحث العصر العباسي، وقد كانت مجرّد ملاحظات عفوية، دون تبرير، يفضي إلى تقعيد. لكن ما يمكن التأكيد عليه أنّ ما وصلنا من منتوجهم الأدبي قد كان مصدر الأحكام الفنّية فيما جاء بعده.

4.2. العصر العبّاسي:

مع فترة العصر العباسي الممتدة من 132هـ إلى القرن السادس هجري، بدأت عجلة تطور البحث البلاغي في تسارع ونمو، بدافع تفطّن بلغاء العرب إلى السّمات البلاغية التي ميّزت أساليب القرآن عن أساليب غيره من كلام العرب؛ لفظا ومعنى، فظهرت العديد من الكتب، تبحث في معاني القرآن، ومشكله ومجازه ونظمه وإعجازه، وإن كانت قد تأسّست هذه الأعمال بخلفية من الدّراسات اللغوية والنّحو ية والأدبية والتّفسيرية والنّقدية، لكن يمكن القول أنّها قد ساهمت كثيرا في التأصيل للبلاغة العربية، وما يتأكد لدى النّقاد أنّ صحيفة بشر بن المعتمر (ت:210هـ) كانت أولى المحاولات القيّمة في عرض قضايا أساسية في البلاغة، والكثير من أسسها، وقد نقلها الجاحظ في كتابه البيان والتبيين.[31] وقد كان لهذه الصحيفة الأثر الملموس في تاريخ البلاغة، كما كان لها التأثير على الكثير من البلاغيين، ويظهر ذلك في مؤلفاتهم، كأمثال: الجاحظ، وأبي هلال العسكري، وابن رشيق القيرواني، وعبد القاهر الجرجاني.

[31]. البيان والتبيين، الجاحظ، تح:عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، د تا، ج1، ص135، ومابعدها.

كما يمكن أن نعتبر بعض من انبروا لدراسة معاني القرآن مساهمين في تطوّر البلاغة، وقد ذكر ابن النّديم في كتابه الفهرست أكثر من عشرين عالما على مراحل من أمثال:

يونس بن حبيب (ت:182ه). / المبرد (ت:286ه).

الكسائي (ت:189ه). / ثعلب (ت:291ه).

الفراء (ت:207ه). / الزجاج (ت:351ه).

الأخفش (ت:215ه). / ابن الأنباري (ت:577).

وممّن ساهموا في نضج البلاغة وتكاملها –أيضا- مؤلفي الإعجاز، وهذا لمّا رأوا مّن كثرة المطاعن، وسهام الشكوك التي وُجّهت إلى القرآن، فحاولوا ردّ هذه المطاعن، ودحض أنصارها، فألّفوا في إعجازه، ككتاب: مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت209ه)، ويعتبر أوّل ما أُلّف في البلاغة.

وكتاب: نظم القرآن، للجاحظ (ت:255ه)، لكن لم يصلنا من هذا الكتاب إلّا شذرات وبعض العبارات التي أشار إليها هو في كتبه.

و كتاب: مشكل القرآن لابن قتيبة (ت:271ه).

وكتاب: في نظم القرآن لابن الأخشيد المعتزلي* (ت:315ه).

وكتاب: نظم القرآن لأبي بكر بن أبي داود السجستاني (ت:316ه).

وكتاب: نظم القرآن لأبي زيد البلخي (ت:322ه).

وكتاب: البيان عن بعض الشعر مع فصاحة القرآن للحسن بن جعفر البرجلي.[32]

[32]. ينظر، الفهرست لابن النديم، دار المعرفة، بيروت، د ط، د تا، ص41.

ومن المتكلّمين الذين أسهموا في الدرس البلاغي:

الرمّاني في رسالته (النّكت في إعجاز القرآن).

كما ألّف الباقلاني (ت:403ه) في الإعجاز، من خلال رسالته (في إعجاز القرآن)، فبيّن من خلالها الوجوه والمعاني التي يشتمل عليها نظم القرآن وتأليفه وبلاغته، وفصاحته، محاولا التدليل على ذلك بشواهد من القرآن الكريم. يقول: " ونصف ما يجب وصفه من القول في تنزيل متصرفات الخطاب، وترتيب وجوه الكلام، وما تختلف فيه طرق البلاغة، وتتفاوت من جهته سبل البراعة، وما يشتبه له ظاهر الفصاحة، ويختلف فيه المختلفون من أهل صناعة العربية، والمعرفة بلسان العرب في أصل الوضع".[33]

وأشار القاضي عبد الجبّار في رسالته (إعجاز القرآن) إلى الكثير من المسائل البلاغية.

ومن النّقاد الذين أسهموا في الدرس البلاغي، ابن طباطبا في كتابه (عيار الشعر). والآمدي في كتابه (الموازنة). والقاضي الجرجاني في كتابه (الوساطة).

ومن الأدباء، بزغ نجم من نجوم الأدب، بعد أن ظلّت البلاغة متّصلة بالقرآن الكريم، والمقصود هو أبو هلال العسكري (ت:395ه)، مقرّرا أنّ علم البلاغة هو الوسيلة لمعرفة إعجاز القرآن، فقال: " وقد علمنا أنّ الإنسان إذا أغفل علم البلاغة وأخلّ بمعرفة الفصاحة، لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصّه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب، وما شحنه به من الإيجاز البديع والاختصار اللطيف، وضمّنه من الحلاوة وجلّله من رونق الطلاوة، مع سهولة الكلمة وجزالتها وعذوبتها وسلاستها، إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز العرب عنه، وقصورهم عن بلوغ غايته في حسنه وبراعته، وسلاسته ونصاعته، وكمال معانيه، وصفاء ألفاظه".[34]

---

*يروى أنّ ابن الأخشيد توفي سنة 326ه.

[33]. إعجاز القرآن، الباقلاني، ص8.

[34]. كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، مقدّمة الكتاب، ص1.

ثم تبعه من المتأدّبين، ابن رشيق (ت:456ه) في كتابه (العمدة)، وابن سنان (ت:466ه) في كتابه (سرّ الفصاحة).

ثم بدأ علم البلاغة ينضج ويتكامل، فازدهرت دراساته مع مجيء عبد القاهر الجرجاني (ت: 471 ه)، فألّف في المعاني كتاب (دلائل الإعجاز) وفي البيان (أسرار البلاغة)، فظهرت البلاغة بمظهر مغاير عما ألفته، سالكة مسلكا آخر؛ علميا "باستخدام منهج خاص مزج فيه بين الفلسفة الكلامية والجدل المنطقي، والروح الأدبية، والقدرة على النقد وصنعة الكلام. ثم مضى يجمع تلك الملاحظات ليخضعها لضرب من التحليل العقلي، والنفسي البصير، فأسس لنظرية مرتبة مفصلة عرفت بنظرية النظم. ونلاحظ أن فهمه للبلاغة على أنها النظم جاءت بمفهوم: ترتيب المعاني في النفس، لا ترتيب الألفاظ في النطق وهي صنعة يستعان عليها بالفكر والروية".[35]

ثم تبعتها مرحلة التأصيل والاكتمال والاستقرّار مع الفخر الرازي(ت:606ه) في كتابه (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز)، والسكّاكي (ت:626ه)، ويعتبر هذا الأخير أوّل من حاول في وضوح أن يفصل بين العلوم في كتابه (مفتاح العلوم) لينتهي به الأمر إلى تقسيم البلاغة إلى علوم ثلاثة، أن: وضع اسم (علم المعاني) لمباحث الجملة وما عليها. واسم (علم البيان) لمباحث الصورة. وترك باقي الأنواع تحت اسم المحسنات البديعية.[36]

ولا ننسى في هذه المرحلة مساهمات ابن الأثير (ت:630ه)، في كتابه (المثل السائر).

ثم ألّف الشريف الجرجاني (ت:729ه) كتابا في البلاغة سمّاه الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، وقد فصّل فيه تفصيلا دقيقا، مستقصيا آراء علماء البلاغة الأفذاذ في عصره وقبل عصره، معتبرا أنّ كمال العلوم وشرفها لا يتحقق إلاّ بالبلاغة، " ولم يكتف بهذا

[35]- ينظر، عبد العزيز عبد المعطي عرفة، تربية الذوق البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، دار الخلود للتراث، مصر، ط1، 1983م، ص: 186 – 217 .

[36]- ينظر، بديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، تح: حفني محمد شرف، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة-القاهرة، ط2، (د تا). ص29،30.

العرض في أسلوب شائق سهل، وإنّما ذيّل كل مسألة من مسائل البلاغة التي وجد فيها عوجا أو خللا".[37]

ثم ظهرت في مراحل متأخرة كتب الشروحات:

1. الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني(ت:739ه)، وكان آخر من وضع معالم البحث البلاغي، وقد فرّق بين بلاغة الكلام وبلاغة المتكلم، معتبرا بلاغة الكلام أن يكون مطابقا لمقتضى الحال مع فصاحته، وأما بلاغة المتكلم أن تكون ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ.

2. المطوّل للتفتازاني (ت:792ه).وغيرها كثير من الشروحات والتلخيصات لكتاب مفتاح العلوم للسكّاكي، التي عرفتها مرحلة ما بعد التأسيس.

هذا باختصار ما أمكنني الحديث عنه بخصوص المراحل التي مرّ بها الدرس البلاغي، وأهم مشاهير هذا العلم، من البلاغيين والأدباء والنّقاد والمتكلّمين، ممّن كان لهم قصب السبق في التأصيل، والفضل في التأسيس لهذا العلم الجليل، انطلاقا من تسجيل الملاحظات، مرورا بوضع الدراسات، وصولا إلى الاكتمال والنّضج مع التقنين والتقعيد.

3. فروع علم البلاغة:

1.3. علم المعاني:

المعاني في **اللّغة** جمع معنى، وهو الفحوى والمضمون والمقصود من اللفظ، والمقصود من اللفظ - في الأصل- هو " الصور الذهنية من حيث أنّه وضع بإيزائها الألفاظ، والصورة الحاصلة في العقل من حيث أنّها تقصد باللفظ سميت معنى".[38] أما النّظر إلى علم المعاني، فهو النّظر في"أصول وقواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال بحيث يكون

[37]. الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، الجرجاني، مقدمة المترجم ص: ل.

[38]. كتاب التعريفات، الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، طبعة جديدة 1985، ص235،236.

وفق الغرض الذي سيق له".[39] وهو مأخوذ من تصور البلاغيين القدامى في أنّ الوجه الأمثل للبلاغة موافقته مقتضى الحال، على اعتبار أنّ مقتضى حال المخاطَب يختلف من حيث الاهتمام والتفكير والتحليل والتدقيق والإدراك والتمييز، وأيضا من حيث الخلفية التي يتبناها ويعتقدها .

يقول ابن الشِّحنة (ت:815هـ):

وَعَرَبِيُّ اللَّفْظِ ذُوْ أَحْوَالِ يَأْتِيْ بِهَا مُطَابِقاً لِلْحَالِ

عِرْفَانُهَا عِلْمٌ هُوَ الْمَعَانِيْ مُنْحَصِرُ الْأَبْوَابِ فِيْ ثَمَانِ

وعرَبِيُّ اللَّفظ: من إِضافة الصِّفة إِلَى الْمَوصوف. أي اللَّفظ الْعرَبِيّ الْمَوصوف بالْفصاحة والْبلاغة.

وذو أحوال: أي أمور عارِضة له من: تقديم، وتأخير، وحذف، وذكر، وتعرِيْف، وتنكير، وغيرذلك.

يأْتِي: ذلك اللَّفظ بها: أي بتلك الْأَحْوَالِ. مطابقا للْحال: أي لِمقتضَى الحال؛ احترَازا عن الْأَحوال الَّتِي ليست بِهذه الصِّفة؛ كالْإِعلَالِ، والْإدغام، والرَّفع، والنَّصب، وما أشبه ذلك ممَّا لَا بدَّ منه فِي تأْدِية أصْل الْمَعنى، وكذا الْمُحسِّنات الْبديْعِيَّة من التَّجنيس، والتَّرصيع، ونحوهما ممَّا يكون بعد رِعاية الْمُطابقة.[40]

_ ماهي غاية علم المعاني؟

ذكر أهل البلاغة على أنّ غاية علم المعاني هو النّظر في خواص التراكيب، أي النظر في التركيب من حيث الخاصية التي تميزه عن غيره، فنقول: هذا تركيب أو كلام خبري، أو

[39]. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيّد أحمد الهاشمي، تح: حسن حمد، دار الجيل، بيروت، طبعة جديدة محققة، (د تا)، ص:35.

[40]. درَر الفرائد المُسْتحسَنة في شرحِ منظومة ابنِ الشِّحنة (في علوم المعاني والبيان والبديع)، ابن عبد الحقّ العمَرِيّ الطَّرابلسيّ ، تح: سلَيمان حسين العميرا، دار ابن حزم، بيروت – لبنان،الطبعة: الأولى، 1439 هـ - 2018م، ص92.

إنشائي، أو تركيب فيه تقديم أو تأخير، أو إطناب، أو مساواة، أو إيجاز، أو وصل، أو فصل، وهكذا دواليك.

_ من أوّل من ألّف في علم المعاني؟

لا يعلم أوّل من ألّف في المعاني بالضبط، وإنّما أُثر فيها كلام عن البلغاء وأشهرهم الجاحظ في إعجاز القرآن وغيره، وبقي هذا العلم ينضج ويتكامل حتى جاء فحل البلاغة عبد القاهر الجرجاني فألّف في المعاني كتابه دلائل الإعجاز،[41] فاعتبر الواضع الأوّل لعلم المعاني، وإن كان لم يسمّ ما عرف في علم المعاني من مباحث بالمعاني، بل أطلق عليه مصطلح البيان، وإن كانت هناك الكثير من الإسهامات في هذا الباب، وعلى الخصوص مع أبي هلال العسكري.

ثم استقرّ العلم في وضوح مع السكّاكي في كتابه (مفتاح العلوم)، ليضع اسم علم المعاني لمباحث الجملة وما إليها.[42]

_ ماهي مباحث علم المعاني؟ علم المعاني يتناول العديد من المباحث، نذكر منها:

1. **أحوال المسند والمسند إليه:** وذلك من حيث،الحذف والذكر، التنكير والتعريف، والتقديم والتأخير، يقول عبد القاهر الجرجاني (ت:471ه): " ومختصر كلّ أمر أنّه لا يكون كلام من جزء واحد، وأنّه لا بد من مسند إليه ومسند". وهذا كون كلّ كلام تام لا بد له من طرفان: مسند ومسند إليه، نحو: دخل (مسند) محمد (مسند إليه)، ففعل الدخول مسند، وفاعله مسند إليه، فأثبتنا إسناد محمد لفعل الدخول. مع شرط إثبات الرابط بينهما أي نسبة الشيء إلى آخر، كما هو في المثال، نسبة الدخول إلى محمد. وفي الجمل

[41]. جواهر الأدب، أحمد الهاشمي، ص434.

[42]. ينظر، بديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، تح:حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشروالتوزيع، 1952، [مقدّمة المحقق، ص:30].

الاسمية يكون المسند إليه متقدّما المسند، نحو: محمد (مسند إليه) أمين (مسند)، فالمبتدأ مسند إليه، وخبره مسند، فأثبتنا إسناد الأمانة إلى محمد.

وسنأتي على هذه الأساليب الثلاثة (الحذف والذكر والتنكير والتعريف والتقديم والتأخير) في محاضرة مستقلّة، نبيّن مفهومها وأقسامها وأضربها وبلاغتها.

ومن حيث الفصل والوصل وأحوال الخبر، وأحوال الإنشاء وسنأتي على هذه الأساليب الثلاثة في محاضرة مستقلّة، مبيّنين مفهومهم وأقسامهم وبلاغتهم.

2.3. علم البيان:

_ مفهومه في**اللّغة:**" ما بُيِّنَ به الشيء من الدلالة وغيرها، وبان الشيء بيانا: اتّضح... والبيان: الفصاحة واللَّسَن، وكلام بيِّنٌ فصيح. والبيان: الإفصاح مع الذكاء".[43]

أمّا في **الاصطلاح** فهو علم " يعرف به أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق يختلف بعضها عن بعض في وضح الدلالة على نفس المعنى".[44] أي دراسة الظواهر البيانيـة، التي تعنى بكيفية تأدية المعنى بطرق مختلفة، فلو أنّك أردت أن تنعت رجلا بأنّه يستعمل الحيلة لتثبت هذه الصفة فقلت بأسلوب الحقيقة مثلا: فُلان يستعمل الحيلة، فإنّك قد أدّيت المعنى بطريق الحقيقة، عكس قولك: فلان كالثعلب، أو ثعلب. فإنّك قد أدّيت المعنى بطريق مختلف، يسمّى هنا التشبيه.

فحينما شبهت هذا الإنسان بالثعلب، فأنت قد وضعت المتلقي أمام صورتين مختلفتين متباعدتين، صورة الإنسان (ظاهر الكلام)، وصورة الثعلب(ظاهر الكلام)، لتُحقق المشابهة (الحقيقة)، لكن بعيدا عن تأدية المعنى بطريق حقيقي، وهو مثله في الصور البلاغية الأخرى التي سنأتي عليها بالتفصيل في محاضرات قادمة مستقلّة.

[43]. لسان العرب، ابن منظور، ج13، ص:67،68.

[44]. جواهر البلاغة(في المعاني والبيان والبديع)، أحمد الهاشمي، ص216.

_ ماهي غاية علم البيان؟

ذكر أهل البلاغة على أنّ غاية علم البيان الاحتراز بالوقوف على الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه،[45] أي كشف الدلالة على نفس المعنى المراد ما في نفس المتكلّم، مع التذّاذ النّفس بها.

_ من أوّل من وضع علم البيان؟

أوّل من دوّن مسائل علم البيان أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت:) في كتابه (مجاز القرآن)، وما زال ينمو شيئا فشيئا، مع الجاحظ (ت:255ه) وابن قتيبة (ت:271ه)وابن المعتز (ت:296ه) وأبي هلال العسكري (ت:395ه)، حتى وصل إلى عبد القاهر الجرجاني (ت:471ه) فأحكم أساسه وشيّد بناءه، في مؤلّفه (أسرار البلاغة)، ولم يكن علم البيان بمباحثه التي نعرفها الآن معروفة، بل كانت مباحثه يعتريها الخلط، فأحيانا يطلق عليه على مسائل علم المعاني، وأخرى على مسائل علم البديع، لينتهي الأمر عند السكّاكي ليضع "اسم علم البيان لمباحث الصورة".[46]

وصور علم البيان نصنّفها على النحو الآتي: مجاز لغوي، وهو قسمان:

أ- عن طريق المشابهة، ويضمّ: الاستعارة المكنية، الاستعارة التصريحية، الكناية. التشبيه، التمثيل.

ب- عن طريق المجاورة، ويضمّ: المجاز المرسل، المجاز العقلي، والكناية.

ونستهل في محاضراتنا هذه -المخصّصة للصور البيانية- بأسلوب المجاز على اعتباره أسلوبا أعمّ، وذلك وفق ما قرّره عبد القاهر الجرجاني، يقول: "ما يوجبه ظاهر الأمر، وما يسبق إلى الفكر، أن نبدأ بجملة من القول في الحقيقة والمجاز، ويتبع ذلك القول في

---

[45]. مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت .لبنان، ط1، 1983م، ص:77.

[46]. بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، مقدمة المحقق، ص:30.

التشبيه والتمثيل، ثم ينسّق ذكر الاستعارة عليهما، ويأت بها في أثرهما، وذلك أن المجاز أعمّ من الاستعارة، والواجب في قضايا المراتب أن يبدأ بالعام قبل الخاص، والتشبيه كالأصل في الاستعارة، وهي شبيه بالفرع له ".[47]

3.3. علم البديع:

وردت كلمة بديع في القرآن بالصيغة الصرفية فعيل مرتين، ومعناها في هاتين الآيتين الكريمتين*: "مبدعهما لا على مثال سابق "[48] وقد ورد في الشعر الجاهلي والمخضرم بمعنى: الجديد والمخترع.[49]

ففي **اللغة**: " بدَعَ الشيء يبْدَعُهُ بَدْعا وابتدَعَهُ: أنشأه وبدأه... والبديعُ والبِدْعُ: الشيء الذي يكون أوّلا... والبديع: المحدَثُ العجيب... وأبدعت الشيء: اخترعته لا على مثال".[50]

_ لماذا سمي البديع بهذا الاسم؟

سمّي البديع بديعا لكونه يبحث في الأشياء المستغربة[51]. ولفظ البديع في اللّغة لم يخرج عن المعنيين:

أ- إنشاء الشيء أو إحداثه واختراعه على غير مثال سابق.

ب- إنشاء واستحداث الأشياء المستغربة والعجيبة.

---

[47]. أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تح: أبو فهر محمود محمد شاكر، شركة القدس للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، ط1، 1991م، ص: 29.

[48]. معالم التنزيل في تفسير القرآن تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن فراء البغوي الشافعي، تح: عبد الرزاق مهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420هـ، مج148/2.

* قوله تعالى: { بديع السموات والأرض}.[البقرة 117]. وقوله: { بديع السموات والأرض}.[الأنعام101]

[49]. ينظر، بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، [مقدمة المحقق، ص8]..

[50]. لسان العرب، ابن منظور، ج8، ص6.

[51]. الحاشية على المطوّل(شرح تلخيص مفتاح العلوم في علوم البلاغة)، الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2007، ص410.

ويعرّف التفتزاني أسلوب البديع كونه "علم يعرف به وجوه تحسين الكلام"،[52] لكن ما يمكن الإشارة إليه أنّ وجوه البديع لا تختص بالوظيفة التحسينية في جميع أحوالها، بل تصاحبها الوظيفة الدلالية ذات المقاصد المرتبطة بالمعنى والأثر المترتّب عنها، مثلها مثل الوجوه البلاغية الأخرى من علم المعاني والبيان.

_ من أوّل من ألّف في علم البديع؟

أوّل من وضع اللبنة الأولى لهذا البناء البلاغي من الناحية العلمية والفنية، فصار علما من علوم البلاغة العربية المعروفة هو عبد الله بن المعتز (ت:262ه) صاحب كتاب البديع، وإن كانت قد سبقته، وكثرت على عهده، ثم تطوّر هذا العلم مع قدامة بن جعفر(ت:337ه)، ثم يأتي أبو هلال العسكري (ت:395ه) ليضيف إلى ما سبق أنواعا أخرى. ومع ابن رشيق(ت:456ه) في كتابه العمدة بدا التحوّل في التفرقة بين الأنواع المتّصلة بأصل المعنى، والأنواع التي تعدّ محسنا زائدا على أصل الكلام. ثم يليهم ابن سنان(ت:466ه) فيحاول التفرقة بين اللفظي والمعنوي فكان ما جاء به من أهم الدعائم التي بنى عليها المتأخرون تقسيمهم الألوان البديعية إلى اللفظية والمعنوية، ومع هذا بقيت مسائل البديع مختلطة فيها من البيان والمعاني والبديع. ولم يختلف الأمر مع عبد القاهر الجرجاني(ت:471ه) وأسامة بن المنقذ(ت:584ه)، إلى مجيء السكّاكي(ت:626ه) فكان أوّل من حاول في وضوح أن يفصل بين هذه العلوم في كتابه (مفتاح العلوم).[53]

_ ماهي أقسام أسلوب البديع؟

يأتي أسلوب البديع على قسمين:

أ-<u>قسم المحسنات المعنوية</u>، ومنها: التورية والاستخدام والاستطراد والافتنان والطباق والمقابلة ومراعاة النظير والإرصاد والإدماج والمذهب الكلامي وحسن التعليل والتجريد

[52]. المصدر نفسه، ص410.

[53]. ينظر، البديع، ابن أبي الإصبع المصري، ص:19-30.

والمشاكلة والمزاوجة والطيّ والنّشر والجمع والتفريق والتقسيم والمبالغة والمغايرة وتأكيد المدح بما يشبه الذمّ وتأكيد الذمّ بما يشبه المدح والإيهام ونفي الشيء بإيجابه إئتلاف اللفظ مع المعنى والتفريع والاستتباع والسلب والإيجاب والإبداع والأسلوب الحكيم وتشابه الأطراف والعكس وتجاهل العارف والجناس.

ب-قسم المحسنات اللفظية، ومنها: التصحيف والازدواج والسجع والترصيع والموازنة والتشريع ولزوم مالا يلزم وردّ العجز على الصدر وما لا يستحيل بالانعكاس والمواربةوائتلاف اللفظ مع اللفظ والتسميط والانسجام والاكتفاء والتطريز والنموذج.

المحاضرة الثانية

أثر الفرق الكلامية في تأصيل البلاغة (المجاز عند المعتزلة)

- **توطئة:**

كان للمتكلمين من معتزلة ومرجئة وشيعة وخوارج وغيرهم من الفرق أثر في تاريخ البلاغة العربية ونشأتها، فقدكانوا أرفع صوتا في تكوين مصطلحات البلاغة، وإقامة دعائمها، سالكين مسلك التكلّم في مسائل العقيدة الإسلامية، الذي سمّي فيما بعد بعلم الكلام.

وما يسجّل أنّهم قد " أخذوا ينقسمون منذ أواخر القرن الأول للهجرة فرقا تتجادل في نظرياتها العقدية من إرجاء وجبر واختيار، وكانت تزخربهم مساجد الكوفة والبصرة وبغداد بعد إنشائها، آخذين في ذلك بقوة الحجج ووضوح العبارة ودقّتها وأسرار البراعة في القول"[54]

لكن ما يشار إليه أنّ الخلاف الذي قام بين المعتزلة والأشاعرة هو ما حرك عجلة التأصيل لقضايا البلاغة العربية، ولا سيما ما يتعلّق باللّفظ والمعنى، ومنشأ القضية اختلافهم في فهم كلام الله.[55] أي اعتقادهم بالقول بالمجاز تنزيها لله عن مشابهة المخلوقين.

_ بم اشتهر علماء الكلام؟

اشتهر زعماؤهم بالخطابة والبلاغة، ولهذا كانوا يتخيّرون الألفاظ للمعاني ويتوسّعون في الاشتقاق اللغوي. وكان النّاس يلجأون إليهم في فهم ما أشكل عليهم من القرآن، ومن

[54]. البلاغة تطوّر وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط9، 1965، ص:33.

[55]. ينظر، البلاغة والنّقد (المصطلح والنّشأة والتجديد)، ص:175.

أجل ذلك قرّر الجاحظ أنّهم أقدر على الدّفاع عن الدّين وفهم أسرار الإعجاز القرآني من اللّغويين.

_ بم عُني علماء الكلام؟

لقد عُني المتكلمون بفهم القرآن الكريم وما فيه من فنون التشبيه والمجاز والبديع، وجادلوا في تعبيراته، وأدّى بهم هذا الجدل إلى التفنّن اللّفظي والبحث في القضايا البلاغية؛ بل إنّ الكثير من المتكلمين قد قصدوا إلى التأليف في إعجاز القرآن الكريم ونظمه ومعانيه، مثل كتاب (معاني القرآن) لواصل بن عطاء (ت:131ه)، وكتاب (إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه) لأبي عبد الله الواسطي (ت:306ه)، وكتاب (نقل القرآن) لأبي بكر أحمد بن الأخشيد المعتزلي (ت:326ه).

وممّا يشاد ببيانهم من المتكلمين،الجُمحي، يقول خلّاد بن يزيد الأرقط:" خطب الجُمحي خطبة أصاب فيها معاني الكلام".[56]

ومثله النّظّام، يقول الجاحظ: " وكان النّظّام لا يبارى في المناظرة وفي إيراد الحجج وتفريع المعاني وتوليدها".[57]

وكذلك الشأن بالنسبة لعبد الصمد بن الفضل بن عياشى الرقاشى(ت:200ه) فقد شُهد له أنّه "كان يبني مواعظه على السجع".[58]

وثُمامة بن الأشرس(ت:225ه)، يقول الجاحظ:" ما علمت انّه كان في زمانه قَرَوِي ولا بَلَديّ كان بلغ من حسن الإفهام مع قلّة عدد الحروف ولا من سهولة المخرج مع سلامة من

[56]. البيان والتبيين، الجاحظ، ج1، ص:58.
[57]. المصدر نفسه، ج1، ص:287.
[58]. المصدر نفسه، ج1، ص:308.

التكلّف ما كان بلغه. وكان لفظه في وزن إشارته، ومعناه في طبقة لفظه، ولم يكن لفظه إلى سمعك بأسرع من معناه إلى قلبك".[59]

ويقف بشر بن المعتمر(ت:210ه)مادحا هؤلاء الأعلام، معتبرا إياهم: " فوق أكثر الخطباء أبلغ من كثير من البلغاء".[60] وذلك لقدرتهم على إيراد الحجج، وسلامة المنطق، وحسن التعليل، وبديع النّظم.

ولا تفوتنا الإشارة هنا إلى بشر بن المعتمر (ت:210ه)، وصحيفته القيّمة التي تعرض فيها لقضايا أساسية في البلاغة، وهو ما أثر عن المعتزلة في البلاغة، وهذه الصحيفة المشهورة، قد نقلها الجاحظ عنه في كتابه (البيان والتبيين)، كاملة غير منقوصة.[61] إذ أنّ هذه الصحيفة قد تضمّنت الكثير من أسس البلاغة؛ كما كان لها الأثر الملموس في تاريخ البلاغة، وقد تأثّر بها بعض رجال البلاغة من أمثال الجاحظ، وأبي هلال العسكري، وابن رشيق القيرواني، وعبد القاهر الجرجاني، واستمدوا منها إشارات وإيحاءات توسعوا فيها، وعقدوا لها أبوابا وفصولا فيما كتبوه عن البلاغة.

والجاحظ (ت:255ه) المعتزلي أوضح برهانا على ما أمعن فيه المتكلمون من الجدل، وكتبه على تباين موضوعاتها، يغلب عليها طابع الجدل. ومن طبيعة الجدل وصناعة الكلام، العناية بدلالة الألفاظ أو التوجه نحو فنّ البلاغة، مدوّنا " ملاحظات العرب البيانية وبعض ملاحظات الأجانب، وسجّل كثيرا من ملاحظات معاصريه، وخاصة المعتزلة، ونراه يطيل الوقوف عند ما أثاره بشر بن المعتمر من صفات الالفاظ والمعاني ووجوب مطابقة الكلام لسامعيه".[62]

---

[59]. المصدر نفسه، ج1، ص:111.

[60]. المصدر نفسه،ج1، ص:139.

[61]. ينظر، البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، ص:41.

[62]. ينظر، المرجع نفسه، ص46.

كما وقف موقفه من الصور البيانية، والمجاز على الخصوص موقف كاشفا من خلاله الدلالات الدقيقة للآيات، منزلا إياها منزلة بعض أشعار العرب التي تجري مجراها في الاستعارة، وقد استعمل مصطلحي الحقيقة والمجاز استعمال البلاغيين المتأخرين، استعمالا دقيقا.[63]

_ من من المتكلمين أسهموا في الدرس البلاغي؟

من المتكلّمين الذين أسهموا في التأسيسللدرس البلاغي - أيضا-:

1. الرمّاني(ت:386ه):هو أحد أعلام المعتزلة في عصره، فقد تناول الكثير من المسائل البلاغية في رسالته (النّكت في إعجاز القرآن)، مقسّما البلاغة إلى عشرة أقسام هي: الإيجاز والتشبيه والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان. وقد فصّل الحديث في كلّ قسم، ليصل إلى الاستعارة وهي عنده: تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة.[64]

2. الباقلاني (ت:403ه): هو إمام الأشاعرة،ألّف في الإعجاز، من خلال رسالته (في إعجاز القرآن)، فبيّن من خلالها الوجوه والمعاني التي يشتمل عليها نظم القرآن وتأليفه وبلاغته، وفصاحته، محاولا التدليل على ذلك بشواهد من القرآن الكريم. يقول: " ونصف ما يجب وصفه من القول في تنزيل متصرفات الخطاب، وترتيب وجوه الكلام، وما تختلف فيه طرق البلاغة، وتتفاوت من جهته سبل البراعة، وما يشتبه له ظاهر الفصاحة، ويختلف فيه المختلفون من أهل صناعة العربية، والمعرفة بلسان العرب في أصل الوضع".[65]

ثم حاول أن يتطرّق إلى فنّ الاستعارة والمماثلة، وبعض صور الكناية، مفردا فصلا معنونا ب" وصف وجوه البلاغة" وفيه يلخص الوجوه العشرة للبلاغة التي صوّرها الرمّاني،

[63]. ينظر، المرجع نفسه، ص:55،56.
[64]. ينظر، المرجع نفسه، ص:104،105.
[65]. إعجاز القرآن، الباقلاني، ص8.

وبذلك يكون الباقلاني أحد المتكلمين المساهمين بقسط لا بأس به في التأصيل للبلاغة العربية.[66]

3. القاضي عبد الجبّار (ت:415ه):أشار في رسالته (إعجاز القرآن) إلى الكثير من المسائل البلاغية، محاولا بسط بلاغة الألفاظ والمعاني وتبيين وجوههما،

من كلّ ما تقدّم يتضح جليا الدور الذي قام به المتكلمون في إثراء البلاغة العربية،من خلال ما حوا به من فنّ في الكلام، وصنعة في الجدل، ساعدتهم على الدفاع عن عقائدهم ودحض حجج خصومهم، كما سهلت لهم طريق بيان أسرار الإعجاز القرآني، والذود عنه.

[66]. ينظر، البلاغة تطوّر وتاريخ، شوقي ضيف، ص:110-114.

المحاضرة الثالثة

أسلوب الخبر وأضربه

1. مفهوم الخبر:

في **اللّغة**: جاء معنى الخبر في لسان العرب بمعنى: ما أتاك من نبأ عمّن تستخبرُ. يقول ابن سيده: الخَبَرُ: النَّبَأُ.[67]

أمّا في **الاصطلاح**: الخبر ما يحتمل الصدق والكذب في ذاته أي بغض النّظر عن قائله، إن كان يصدق في خبره أو يكذب، فإن قال أحدهم: رأيت أسدا يعترض الطريق، فإن كان اعتراض الأسد صحيحا أي مطابقا للواقع، فهو صدق، وإن كان غير ذلك أي غير مطابق للواقع فهو كذب.[68]

1. أغراض الخبر:

يقول السكّاكي (ت:626هـ): " إنّ حكم العقل حال إطلاق اللّسان، هو أن يفرغ المتكلم في قالب الإفادة ما ينطق به تحاشيا عن وصمة البلاغية، فإذا اندفع في الكلام مخبرا لزم أن يكون قصده في حكمه بالمسند للمسند إليه في خبره ذاك، إفادته للمخاطب". وعليه تأتي **أضرب الخبر** إمّا بما يقتضيه ظاهر حال المخاطب، وإمّا تأتي على خلاف ذلك، وللخبر الجاري على ظاهر حال المخاطب ثلاثة أضرب:

أ- الابتدائي: سمّي ابتدائيا لأنّ ذهن المخاطَب خال من الخبر، فلا يحتاج المخاطَب مؤكّدا إلى الخبر، كقول أبي العتاهية:

إنّي رأيت عواقب الدنيا فتركت ما أهوى لما أخشى

---

[67]. ينظر، لسان العرب، ابن منظور، ص:227.

[68]. ينظر، البلاغة الاصطلاحية، عبده عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1992، ص:127.

فقوله: فتركت ما أهوى ضرب خبري ابتدائي، لأنّه خال من التأكيد.

ب- الطلبي: سمّي طلبيا لأن المخاطَب متردّد شاك في تصديق الخبر، فيقدّم الخبر مؤكّدا بمؤكد واحد، كقول لبيد:

ولقد علمت لتأْتِينَّ منيَّتي إنّ المنايا لا تطيشث سهامها

فقوله: إنّ المنايا ضرب خبري طلبي، لأنّه جاء بمؤكد واحد.

ج- الإنكاري: سمّي إنكاريا لأنّ المخاطَب منكر الخبر معتقد خلافه، فيقدّم الخبر مؤكدا بمؤكدين أو أكثر، لإيقاع التصديق.[69]كقول حسّان بن ثابت:

وإنّي لحلوٌ تعتريني مرارة وإنّي لتراكٌ لما لمْ أُعَوَّدِ

فقوله: وإنّي لحلوٌ ، وإنّي لتراكٌ ضرب خبري إنكاري، لأنّه جاء بمؤكديناثنين.

وكثيرا ما يخرج الخبر الجاري على خلاف ما يقتضيه ظاهر حال المخاطب، ويأتي على أضرب كثيرة، منها:

تنزيل العالِم بمضمون الخبر منزلة الجاهل به لعدم عمله بعلمه، تنزيل خالي الذهن منزلة المتردد، تنزيل خالي الذهن منزلة المنكر، تنزيل المتردد منزلة خالي الذهن، تنزيل المنكر منزلة المتردد.[70]

_ تنزيل العالِم بمضمون الخبر منزلة الجاهل به لعدم عمله بعلمه، أي عدم جريه على موجب العلم بلازم الفائدة، كقولك للعالم ب: "وجوب قول كلمة الحق"، فأنت تعلم أنّه يعرف هذا الحكم، لكن عدم حريه على موجب العلم به نزل منزلة الجاهل به.

---

[69]. ينظر، الإيضاح في علوم البلاغة(المعاني والبيان والبديع)، جلال الدين أبو عبد الله محمد الخطيب القزويني، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2003م. ص:22،23.

[70]. ينظر، البلاغة الواضحة(البيان، المعاني، البديع)، علي الجارم، مصطفى أمين، دار المعارف، ماكميلان وشركاه، لبنان، 1999، ص:163.

_ تنزيل خالي الذهن منزلة المتردد، كقوله تعالى:{إنّ النَّفس لأمارةٌ بالسوء} [يوسف53]، المخاطَبُ هنا خالي الذهن من الحكم التي تضمنته الأية، لكن لمّا كان الحكم مسبوقا بجملة أخرى وهي قوله: ﴿وما أُبْرِئُ نفسي﴾وهي تشير إلى أنّ النّفس محكوم عليها بشيء غير محبوب، أصبح المخاطب مستشرفا متطلّعا إلى نوع هذا الحكم، فنزّل من أجل ذلك منزلة الطالب المتردد، وأُلقي إليه الخبر مؤكّدا.

_ تنزيل خالي الذهن منزلة المنكر، كقولك: "إنّك لمغرّر بك"،المخاطَبُ هنا خالي الذهن من الحكم التي تضمنه التركيب، لكن لمّا كان الحكم مسبوقا بسياق حال -مثلا- الشهود عليه بأنّه لا يدري أنّه مستغلّ، أصبح المخاطب مستشرفا متطلّعا إلى نوع هذا الحكم، فنزّل من أجل ذلك منزلة الطالب المنكر، وأُلقي إليه الخبر مؤكّدا بمؤكدين.

_ تنزيل المتردد منزلة خالي الذهن، كقولك: التدخين مضرٌّ بالصحة، المخاطَبُ هنا متردد في قبول الحكم التي تضمنه الخبر، لكن لمّا كان الحكم مسبوقا بسياق حال المخاطب -مثلا- كونه مشهودا بأنّ له قابلية الامتناع عنه، ومستشرفا متطلّعا إلى نوع هذا الحكم، فنزّل من أجل ذلك منزلة خالي الذهن ، وأُلقي إليه الخبر غير مؤكّد.

_ تنزيل المنكر منزلة خالي الذهن.كقولك: الإسلام دين حياة، المخاطَبُ هنا متردد في قبول الحكم التي تضمنه الخبر، لكن لمّا كان الحكم مسبوقا بسياق لفظي قوله: لا ننكر أنّ الإسلام يتضمّن قوانين محكمة -مثلا- وهي عبارة تشير إلى أنّ النّفس محكوم عليها بشيء محبوب، ومستشرفا متطلّعا إلى نوع هذا الحكم، فنزّل من أجل ذلك منزلة خالي الذهن، وأُلقي إليه الخبر غير مؤكّد.

_ تنزيل المنكر منزلة المتردد.كقولك: إنّ الربا حرام، المخاطَبُ هنا متردد في قبول الحكم التي تضمنه الخبر (حرمة الربا)، لكن لمّا كان الحكم مسبوقا بسياق لفظي قوله: قد يكون في التعامل الربوي ضررّا بالمتعامل -مثلا- وهي عبارة تشير إلى أنّ النّفس محكوم عليها بشيء من التردد، نزّل من أجل ذلك منزلة المتردّد، وأُلقي إليه الخبر مؤكّدا بمؤكدٍ واحد.

_ ماهي مؤكدات الخبر؟

مؤكدات الخبر كثيرة، منها:

* اسمية الجملة، نحو: أنت وفيٌّ بمن قدّم لك خدمة.

* إنّ، نحو: إنّك لعلى خلق عظيم

* أمّا الشرطية، نحو: أمّا محمد فناجح.

* لام الابتداء، نحو: لأنت أوّل الناجحين.

* السين، نحو: فلان سيرحمه الله.

* القسم، وأحرفه، الواو والباء والتاء، وأقسم، ولعمري، نحو: تالله لأكيدنّ فلانا.

* قد التي تفيد التحقيق، نحو: قد أفلح فلان.

* نونا التوكيد، نحو: لأكرمنّك ولتكوننّ من الفرحين.

* ضمير الفصل (هو)، نحو: فلان هو الكريم.

* حروف التنبيه، وأشهرها: أما، ألا، ما، لا، ونحو: ألا إنّك وفيّ.

* خروج الخبر من مقتضيات الظاهر.

2. **أغراض الخبر:** للخبر غرضان رئيسيان هما:

أ. **فائدة الخبر:** ويأتي إذا كان المخاطَب به يجهل مضمونه قبل أن نقوله، نحو قولك: لقد نجح محمد في المسابقة. فقد أخبرت المخاطَب بنجاح محمد بعد أن علمت جهل المخاطَب بخبر النجاح. أي أن وهو نعلم المخاطَب بالحكم الذي تضمنته الجملة الخبرية حين وجدناه جاهلا به. وسمّي فائدة الخبر، لأنّه المقصود بالخبر والمستفاد منه. فالمخاطَب

في هذه الحالة يجهل سفر صاحبه خالد، وأنت قد قمت بإخباره عن هذا الحكم المقصود في ذاته، فحصلت الفائدة.[71]

ب. **لازم الفائدة:** ويأتي إذا كان المخاطَب به يعلم مضمونه لكن يجهل أنّ المتكلم يعلمه، أي إعلام المخاطَب أن المخاطِب عالم بالحكم الذي دلّت عليه الجملة الخبرية، حين يكون المخاطَب عالما بالحكم. كقولك لمن هو مقدم على السفر: (ستسافر غدا)، وأنت في هذا المثال تقصد أنّك عالم بسفره، الذي له به علم، وسمّي لازم الفائدة لأنه لزم في كلّ خبر يقصده المخاطِب أن يكون المخاطَب عنده علم به، فهو شرط لابد منه وإلاّ خرج إلى فائدة الخبر. وهنا قد استفاد المخاطب لا الخبر بل ما لزمه وهو علمه بأنّ المخاطِب يعلمه.[72]

المخاطِب	المخاطَب
↓	↓
يعلم الخبر	يجهل الخبر
↓	↓
يقصد بخبره فائدة	يستفيد من الخبر

3. أغراض الخبر البلاغية:

تتعدى أغراض الخبر ما ذكرناه من فائدة الخبر ولازمه، إلى أغراض كثيرة تسمّى الأغراض البلاغية، ومنها:

التنبيه، التعجيز، التهديد، الاسترحام والاستعطاف، التوبيخ، الوعيد، إظهار الضعف، التحسّر على شيء محبوب، التهديد، التحذير، النصح، الفخر، المدح، الهجاء، الرثاء، التحسين، التقبيح، إظهار الفرح، وغيرها كثير يأتي على حسب سياق الكلام ومقتضيات أحواله..

[71]. ينظر، الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص:22.

[72]. ينظر، المصدر نفسه، ص:22.

وسنحاول ضرب أمثلة على سبيل التمثيل لا الحصر، نحو قوله: ﴿ رَبِّي إِنِّي وَهَنَ العَظْمُ منّي﴾ [مريم4]، جاء الخبر هنا لغرض إظهار الضعف والخشوع.

ونحو قوله تعالى: ﴿جآءَ الحَقُ وزَهَقَ الباطِلُ﴾ [الإسراء81}، الخبر هنا لإظهار الفرح بمقبل، والشماتة بمُدبر.

ونحو قوله تعالى: ﴿رَبِّي إِنِّي وَضعْتُها أنثى﴾ [آل عمران36]، وفي هذه الآية جاء الخبر لغرض التحسُّرُ والتحزّنُ.

المحاضرة الرابعة

أسلوب الإنشاء وأضربه

1. مفهوم الإنشاء:

1.1. في**اللّغة** يأتي لفظ نشأ بمعنى الجعل والابتداء والوضع، " أنشأ يحكي حديثا: جعل. وأنشأ يفعل كذا ويقول كذا: ابتدأ وأقبل. وفلان ينشء الأحاديث أي يضعها. قال الليث: أنشا فلان حديثا أي ابتدأ حديثا ورفعه".[73]

2.1. في**الاصطلاح:** فإنّ أسلوب الإنشاء هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب في ذاته، أي في ذات الكلام الإنشائي، وليس بالنظر إلى ما تستلزمه من خبر، وعليه فهو لا يخبر بحصول شيء أو عدم حصوله[74]، ولا يخرج الأسلوب الإنشائي عن كونه خبرا، إلاّ أنّ ما يميزه أنّه لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا بالتلفظ به، فقولك: اجتهد، يعني أنا أطلب منك الاجتهاد. فطلب الاجتهاد في الواقع قد يتحقّق حصوله وقد لا يتحقق.

2. **أضرب الإنشاء**: الإنشاء ضربان:

_ الإنشاء غير الطلبي: هو مالا يطلب به حصول الشيء أو عدم حصوله، وأساليبه كثيرة:

أ. صيغ المدح والذمّ: نعم، وبئس، وحبذا، ولا حبذا، كقوله تعالى: ﴿ بئسَ الاسم الفسوق بعد الإيمان ﴾. [الحجرات،الآية:11]

ب. القسم: الباء والتاء والواو، كقوله تعالى: ﴿ والتينِ والزيْتُون﴾. [التين،الآية:1]

---

[73] - لسان العرب، ابن منظور، مج1، ص171.

[74] - ينظر، البلاغة الاصطلاحية، ص:146.

ت. التعجب: ما أفعله، وأفعل به، كقوله تعالى: ﴿أَسْمِع بهم وأَبْصِر يومَ يأتوننا﴾ [مريم،الآية38]

ث. صيغ العقود:أجّرت، واستأجرت، واشتريت، ووهبت، وارتهنت.

_ الإنشاء الطلبي: وهو الذي يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، لامتناع تحصيل الحاصل، أي ما يتحقّق مدلوله بمجرد النطق به، أي بلا فارق زمني بين الطلب وتحققه، مثل: وهبتك، فتحقّق الهبّة بلافارق زمني بين التلفظ ووقوع الهبة.[75]نحو: قوله تعالى: ﴿ قُلْ فأْتوا بعَشْرِ سُوَرٍ مُفْترياتٍ﴾ [هود:13]، أي أنا أطلب منكم أن تأتوا بعشر سور.. والآية في سياق تحدي الله –عزّ وجل- قريشا خاصة وعموم النّاس بأن يأتوا بعشر سور مثله، إن كانت الآيات حقا مفتريات، على سبيل التهكّم والسخرية، يقول الباقلاني: " فجعل عجزهم عن الإتيان بمثله دليلا على أنّه منه، ودليلا على وحدانيته".[76]ومنه:

أ. التمني، ويأتي لفظه " ليت"، وقد يتمنى ب "هل"، نحو: هل لي من شفيع. أو ب "لو"، نحو: لو تأتيني فتحدثني. وهناك حروف معاني أخرى تأتي متضمنة معنى التمني ك: هلاّ، ولعل، وألاّ، ولولا، ولوما.

ب. الاستفهام: وتأتي ألفاظه الموضوعة له:

_ الهمزة، تأتي لطلب التصديق، نحو: (أزيد ضربت؟) إذا أردت الشك في المفعول. أو (أأنت ضربت زيدا؟) إذا كان الشكّ في الفاعل. أو (أضربت زيدا؟) إذا كان الشكّ في الفعل.

_ هل، تأتي لطلب التصديق فحسب، نحو: (هل قام زيد؟) ويمتنع قولك: (هل قام زيد أم عمرو؟) ويقبح قولك: (هل زيدا ضربت؟) لتقدّم الشكّ عليه.

[75] - ينظر، البلاغة الاصطلاحية، ص:147-149.

[76] - إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني، ص:23.

_ ما، تأتي لشرح الاسم، نحو: ما العنقاء؟ وإمّا ماهية المعنى، نحو: ما الحركة؟ وتأتي للسؤال عن الجنس، نحو ما قرّره السكاكي، مثل: ما عندك؟ أي أيّ الأشياء عندك؟ أو تأتي للوصف، نحو: ما زيد؟ أي ما صفته، فتجيب: كريم.

_ من، تأتي للسؤال عن الجنس تارة، نحو: من جبريل؟ أي ملك أم جنّي أم إنسي. وتأتي للسؤال عن العارض المشخّص لذي العلم، يقال: من فلان؟ يجاب ب "زيد" ما يفيد التشخيص.

_ أي،للسؤال عمّا يميّز أحد المتشاركين في أمر يعمّهما، يقول القائل: عندي ثياب، فتقول: أيّ الثياب هي؟

_كم، للسؤال عن العدد.

_ كيف، للسؤال عن الحال.

_ أين، للسؤال عن المكان.

_ أنّى، تأتي بمعنى السؤال عن الحال تارة، وتأتي بمعنى السؤال عن المكان تارة أخرى، نحو: "أنّى لك هذا" أي "من أين لك".

_ متى، أيان (للسؤال عن الزمان).

وهذه الألفاظ قد تأتي لغير معناها الأصلي (الاستفهام)، فتستعمل لمعاني غير الاستفهام، وهي كثيرة، منها: التعجب، والتنبيه، والتوبيخ، والتهديد، وهكذا دواليك.

ج. الأمر، وحقّه الفور، لأنّه الظاهر من الطلب، وصيغه:

_ فعل الأمر، نحو: (افعل).

_ المضارع المقترن بلام الأمر، نحو: لينفق أي أنفق.

_ المصدر النائب عن فعل الأمر، نحو: فصبرا أي اصبر.

_ اسم فعل الأمر، نحو: صه أي اصمت. وهيهات أي بَعدَ.

د. النهي، وله حرف واحد وهو " لا" الجازمة المقترنة بفعل مضارع، نحو: لا تفعل.

_ **ملاحظة**: التمني والاستفهام والأمر والنهي، تشترك كونها قرينة دالة على تقدير الشرط بعدها، نحو: ليت لي مال أنفقه أي إن أرزقه. أين بيتك أزره؟ أي إن تعرفنه. أكرمني أكرمك أي إن تكرمني.[77]

هـ. النّداء، وله حروف موضوعة له وهي:

_ " يا (لنداء البعيد والقريب)، نحو: يا أيّها الرجل المعلّم غيره.

_ أيا (لنداء البعيد)، نحو: أيا ايّها الليل الطويل ألا انجلي

_ هيا (لنداء البعيد)، نحو: هيا من كان لي بالأمس مسندًا

_ أي (لنداء القريب)، نحو: أي محمد

_ الهمزة (لنداء القريب)". نحو: أفاطم مهلا بعض هذا التدلل

_ **ملاحظة:**

* قد تستعمل صيغ النداء في غير معناها الحقيقي، لأغراض بلاغية تستقى من مقتضى الحال.

* الإنشاء الطلبي يتحقّق بفارق زمني بين التلفظ ووقوع مدلوله، وهذا عكس الإنشاء غير الطلبي – كما بيّناه سلفا-.

[77]. ينظر، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، الخطيب القزويني، ص:135-150

المحاضرة الخامسة

التقديم والتأخير

- **توطئة:**

في هذا المبحث لا بد أن ننبّه على أنّ المسند والمسند إليه هما الركنان الأساسيان اللّذان يقوم عليهما التركيب في كلام العرب، وننوّه على أنّ الأصل أن يأتي الكلام على الترتيب الذي وضع له، نحو: دخل محمد، في الجملة الفعلية بتقدّم الفعل ثم الفاعل، ونحو: النّاس نيام، في الجملية الاسمية بتقدّم المبتدأ وتأخر الخبر. لكن قد لا يتحقّق هذا الترتيب فيتقدّم ما حقه التأخير ويتأخّر ما حقه التقديم، لاعتبارات بلاغية، وهي جمالية فنية، معنوية، يرغب فيها المتكلّم ويقصدها.

وظاهرة التقديم والتأخير واحدة، ووظيفتها مزدوجة، فالسبب في التأخير هو عينه السبب في التقديم، وتعليلهما هو تعليل كليهما، فما يقال عن التقديم يقال على التأخير.

قبل التطرّق إلى هذا المبحث لا بد أن نقدّم مفهوما موجزا عن ظاهرة التقديم والتأخير.

1.مفهوم التقديم والتأخير:

الأصل في الجملة العربية أن تأتي مرتّبة ترتيبا طبيعيا، وفق قاعدة المسند والمسند إليه، فيكون الفاعل تابعا للمفعول، والخبر رديفا للمبتدأ، وهكذا دواليك، ولكن لاعتبارات بلاغية (جمالية وحجاجية)، ولاختلاف مقاصد المتكلّم وأحوال المخاطب، يقول السكّاكي: "وأمّا الحالة المقتضية لتأخير المسند، فهي إذا كان ذكر المسند إليه أهم كما مضى في المسند إليه، وإياك أن تظنّ بكون الحكم على المسند إليه مطلوبا استيجاب صدر الكلام

له، فليس هو هناك فلا تغفل". [78]على اعتبار أنّ البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال، يقصد المتكلّم إلى ظاهرة التقديم والتأخير في الكلام، فتجد تقديم ما حقّه التأخير، وتأخير ما حقّه التقديم، ولجريان الكلام على غير الأصل إظهار لوجوه الحسن والجمال، يقول عبد القاهر الجرجاني: " هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرّف، بعيد الغاية، لا يزال يفتَّر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدّم فيه شيء، وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان".[79]

1.1. التقديم في **اللغة**: ورد في لسان العرب معنى قدم: وضعُ الأشياء في موضعها، ومنه، القَدَمُ والقُدْمَةُ: السابقة في الأمر. وتقدَّتْ فيه لفلان قَدَمٌ: أي تقدّثم في الخير.[80]

2.1. التأخير في **اللغة**:جاء في معجم لسان العرب "التأخير ضدُّ التقديم، ومُؤَخَّرُ كلّ شيء، بالتشديد، خلاف مُقَدَّمه".[81]

3.1. في **الاصطلاح**: هو تغيير اللّفظ (المسند) من مكان إلى مكان لغرض في الحسن، ولطف في الموقع، ولمقام يقتضيه، مع الموافقة لأصله النّحوي.

ولأنّ السبب في تقديم المسند هو نفسه السبب في تأخير المسند إليه كان التعليل والتفسير واحدا، فما يقال عن التقديم هو عينه ما يقال عن التأخير. يقول السكّاكي:" وأمّا الحالة التي تقضي تأخيره عن المسند، فهي إذا اشتمل المسند على وجه من وجوه التقديم".[82]

---

[78]. مفتاح العلوم، السكاكي، ص105.

[79]. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بمصر، دار المدني بجدة، ط3، 1992م، ص106.

[80]. ينظر، لسان العرب، ابن منظور، مج12، ص:466،465.

[81]. المصدر نفسه، مج4، ص:12.

[82]. مفتاح العلوم، السكاكي،ص94.

2. **أقسام التقديم:** يقسّم التقديم إلى قسمين:

1.2. تقديم على نية التأخير: كخبر المبتدأ إذا قدّمته على المبتدأ، نحو: في الحديقة أطفال، والترتيب المعتاد هو: أطفال في الحديقة. بشرط أن يكون الخبر شبه جملة (جار ومجرور أو ظرف) أو أن يكون متضمّنا معنى يتدعي تقديمه لتجنّب اللبس.

والفاعل إذا قدّمته على الفعل، نحو: الطالبُ كتبَ الدرسَ. والترتيب المعتاد هو: كتب الطالبُ الدرس.

وتقديم ما حقّه التأخير يأتي لتحقيق غرض بلاغي، وقد يكون توجيه الاهتمام بالطالب، أو حصر فعل الكتابة على الطالب دون سواه، على اعتبار عدم جواز العطف بعده، كأن تقول: الطالب كتب الدرسَ ومحمد، وغيره كثير من الأغراض.

2.2. تقديم لا على نيّة التأخير: وهو أن تخرج الكلام على كونه تقديما إلى كونه تأخيرا، نحو قولك: زيد المنطلق، والمنطلق زيد. فلم تقدّم المنطلق على كونه خبرا، بل خرّجته عن كونه مبتدأ إلى كونه خبرا.[83]

3. بلاغة التقديم والتأخير:

1.3. الاهتمام، نحو قولك: دخل زيد، وزيد دخل، فقدّمت زيدا للاهتمام، إذ يعني المخاطب ذكر صاحب فعل الدخول، وليس فعل الدخول إذ لهم به علم.

2.3. الحصر والقصر، نحو قول الله تعالى:{إياك نعبد}، أن حصر العبادة لله وحده، فلو قيل: نعبد إياك، لتوهّم المخاطب أنّ هناك من يُعبد مع الله، لجواز العطف بعد الضمير المنفصل في محل نصب مفعول به (إياك)، فيقال: نعبد إياك وفلانا وعلانا. لكن بتقديم الضمير على الفعل المضارع يمنع العطف بعده، فلا يجوز القول: إياك نعبد وفلانا وعلانا.

3.3. تمكين الخبر في ذهن السامع: لأنّ في المبتدأ أو الفعل تشويقا إليه، كقول الشاعر:

[83]. ينظر، المرجع نفسه، ص107.

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

وفحوى البيت الشعري، مدح أبي إسحاق، فجاء بالمسند إليه (المبتدأ) مقدّما، ليتمكّن الخبر (شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر) في ذهن السّامع، فصلة المبتدأ (تشرق الدنيا ببهجتها) تثير في نّفس المخاطَب الشوق لمعرفة من هؤلاء الثلاثة الذين تشرق الشمس ببهجتهم؟ فينتظر الخبر، فإن جاءه بعد هذا الشوق رسخ في ذهنه كأنّه شيء مقطوع به.

ملاحظة: الأغراض البلاغية في استخدام أسلوب التقديم والتأخير كثيرة،وتكون على حسب سياق التركيب، فتأتي أحيانا ل:

تعجيل المسرّة؛ التعظيم والتحقير؛ تعجيل التلذّذ؛ تعجيل التبرّك؛ تقوية الحكم. وسيكون لنا معها وقفة في الحصص التطبيقية.

المحاضرة السادسة

الفصل والوصل، الإيجاز والمساواة والإطناب:

أوّلا: الفصل والوصل:

1. مفهوم الفصل والوصل:

في **اللّغة**: ورد في معجم لسان العرب الفصل كما ذكر ابن سيده: الفصل حاجز بين الشيئين، فصل بينهما يفصل فصلا فانفصل. والوصلُ ضدُّ الهجر، وصله يصلُهُ وصْلا ووصولا: اتّصل به. والوصل: الاتصال. يقال: وصل الشيء وصلا... والوصل خلاف الفصل".[84]

أمّا في **الاصطلاح**، فيذكر القزويني أنّ "الوصل عطف بعض الجمل على بعض، والفصل تركه".[85] وذكر العلماء أنّ أسلوب الفصل والوصل من أصعب أبواب البلاغة، ولذلك قيل: البلاغة: معرفة الفصل والوصل، والمقصود بها أنّ أسلوب الفصل والوصل أعظم أبواب البلاغة، وليس قصرها عليها.[86]

2. أقسام أسلوب الفصل والوصل: يأتي الفصل والوصل على أقسام، منها:

1.2. تعلق الجملتان بعامل واحد بجهة واحدة، فيكون:

_ خبريْ مبتدأ واحد، أو فاعلي فعل واحد، أو مفعولي فعل واحد، أو صفتي موصوف واحد، أو حاليْ صاحب واحد.

ولا بد هنا من من عطف الأولى على الثانية بواو الجمع.

---

[84]. ينظر، لسان العرب، ابن منظور، مج11، ص: 521-726.

[85]. الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، الخطيب القزويني، ص: 151.

[86]. ينظر، الإشارات والتنبيهات، الجرجاني، ص:104.

2.2. تعلّق الجملتان تعلّق تكميل فيأتي على أقسام، منها:

_ أن تكون الثانية تأكيد للأولى، أو أن تكون الثانية بدل من الأولى، أو أن تكون الثانية كعطف بيان للأولى، أو أن تكون الثانية كالجواب عن الأولى.

ويرى البلاغيون في الكثير من مؤلفاتهم البلاغية أنّه إذا جاءت جملة مطلقة بعد جملة مقيّدة امتنع الوصل.[87]

ملاحظة: أبواب الفصل والوصل كثيرة، والحديث عنه يطول، ومن أراد الاستزادة منه رجع إلى مؤلفات البلاغة، فقد أطالت الحديث فيه، وأكثرت الشرح.

ثانيا: الإيجاز والمساواة والإطناب:

1. الإيجاز: يأتي مفهوم الإيجاز في اللغة من: " وَجُزَ في الكلام وجازَةً وَوَجزاً وأوجز قلّ في البلاغة، وأوجَزهُ اختصره".[88] أمّا في الاصطلاح فيعرّفه الرمّاني كونه: " تهذيب الكلام بما يحسن به البيان".[89] وعند الباقلاني: "اشتمال اللّفظ القليل على المعاني الكثيرة".[90] وعرفت البلاغة عند العرب بالإيجاز، سأل معاوية. رضي الله عنه . صحارى العبدي، ما البلاغة فيكم؟ قال: الإيجاز. بشرط أن يكون الإيجاز لا يخلّ بمعنى الكلام، ولا الفائدة منه.

2. أضرب الإيجاز: يأتي الإيجاز على ضربين، إيجاز قصر، وإيجاز حذف.

1.2. إيجاز القصر: وهو التعبير عن المعاني الكثيرة بأقل عدد ممكن من الألفاظ،دون الإخلال بالمعنى، مع مراعاة جمالية ودقّة التعبير، نحو قوله تعالى: {ولكم في القصاص حياة}. فجملة لكم في القصاص حياة مستوفية لمقتضيات مطلق الحياة، من حيث تكثير

[87] - ينظر،المصدر نفسه، ص:105-110.

[88]. لسان العرب، ابن منظور، ص427.

[89]. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الرمّاني، تح:محمد خلف الله، د.محمد زغلول سلام، دار المعارف، 1968، ص80.

[90]. إعجاز القرآن، الباقلاني، ص90.

الحياة لتنكيرها، أوجز لفظ لكون حروفه عشرة، القتل الرادع عن القتل لا مطلق القتل. والسلامة من عيب التكرار، وغيرها من الوجوه.

2.2. إيجاز الحذف: وهو إيجاز يتم من خلاله حذف ألفاظ أو عبارات دون أن يؤثر هذا الحذف بأصل المعنى المراد، مع ضرورة استنتاج هذه المعاني بقرينة دالة، نحو قوله تعالى: { حرّمت عليكم الميتة}. أي أكلها. وهو حذف لمتعلّق الكلام لقرينة.[91]

2. <u>المساواة</u>: أسلوب المساواة يكون وسطا بين الإيجاز والإطناب، ويعرّف كونه: " مساواة اللفظ للمعنى من غير زيادة عليه ولا نقصان، وحيث عُرف الإيجاز والإطناب سهل معرفة المساواة".[92] نحو قوله تعالى: {ولا يحيق المكر السيّء إلّا بأهله}. فقد أدّت الجملة المقصود من الكلام من غير زياة ولا نقصان، فمقصوده أنّ مكرهم السيّء إنما يعود عليهم بسوء.

3. <u>الإطناب</u>:يأتي لفظ الإطناب في اللغة، من الأطناب و" هي الطوال من حبال الأخبية... والإطناب البلاغة في المنطق، والوصف مدحا كان أو ذمّا، وأطنب في الكلام بالغ فيه".[93] أمّا في الاصطلاح: فهو أن يزاد على أصل الكلمة المراد زيادة لفائدة، وذلك على وجوه سبعة:

_ الإبهام مع التفسير، نحو قوله تعالى:{ وقضينا إليه ذلك الأمر أنّ دابر هؤلاء مقطوع مصبحين}.

(ذلك الأمر) مبهم ، وما بعده تفسير" (أنّ دابر هؤلاء مقطوع مصبحين).

ذكر الخاص مع العام: نحو قوله تعالى: { من كان عدّوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال}. الخاص (جبريل وميكال). العام (ملائكته).

_ التكرير للزجر، نحو قوله تعالى:{كلّا سوف تعلمون ثمّ كلّا سوف تعلمون}.

---

[91]. ينظر، الإشارات والتنبيهات، الجرجاني، ص130،131.

[92]. ينظر،المصدر نفسه، ص147.

[93]. لسان العرب، ابن منظور، ص561،562.

_ الإيغال، نحو قوله تعالى: { اتّبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون}. إذ دعا إلى اتباع الرسل والتشبّه بهم ثم أردفه بكماله وهو الهدى.

_ التذييل، نحو قوله تعالى: { ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلّا الكفور}. إذ أعقب جملة عقابهم بما كفروا بجملة جزيناهم بكفرهم بمعناها للتوكيد.

_ التكميل، نحو قوله تعالى: { فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبونه أذلّة على المؤمنين أعزة على الكافرين}. جاءت الجملة الأولى تحتمل خلاف المقصود (أذلّة على المؤمنين)، ثم أردفت بجملة تزيل هذا الاحتمال (أعزة على الكافرين) حتى لا يتوهم أنّهم أذلّة عن ضعف وعجز.

_ التتميم، نحو قوله تعالى:{ويطعمون الطعام على حبّه}. فقد زيد في الكلام لا لإزالة غير المقصود، بل لفائدة، أي إطعام الطعام مع حبّهم للطعام زيادة في الفضل.[94]

_ **ملاحظة:** الزيادة في الكلام إن كانت لفائدة فهي إطناب، وهو محمود، وهو من بلاغة الكلام، وإن انتفت الفائدة من هذه الزيادة فهو تطويل، وهو مذموم وليس من بلاغة الكلام.

[94]. ينظر، الإشارات والتنبيهات، الجرجاني، 135.145.

المحاضرة السابعة

الحقيقة والمجاز.

أوّلا: الحقيقة:

1. مفهوم الحقيقة: المراد بالحقيقة في **اللّغة**: " ما يصير إليه حقّ الأمر ووجوبه، وبلغ حقيقة الشيء أي يقين شأنه، وهو مأخوذ من حقّ الشيء إذا ثبت...وجمعها الحقائق...والحقيقة في اللغة:ما أُقر في الاستعمال على أصل وضعه ".[95]

أمّا في **الاصطلاح:** فالحقيقة "لفظ مستعمل فيما وُضع له من حيث هو كذلك".[96] أي فيما وضع له في استعمال اللغة (لغة وعرفا واصطلاحا)، وتكون الحقيقة اسما، وفعلا، وجملة.

ويعرّفها الزملكاني كونها: " متى أريد باللّفظ ظاهره في ذلك الاصطلاح فهو حقيقة، وإلاّ فهو مجاز، كالأسد إذا أريد به الحيوان المفترس".[97]

وقد فهم البلاغيون العرب القدامى أنّ الكلام على حقيقته " لا يصادف السامع له أريحية "[98]، أمّا إذا سيق بطريقة مختلفة فحينئذ يكون قد " امتلأت نفس [المتلقي] سرورا وأدركته هزة لا يمكن دفعها عنه ".[99]ومع هذافإنّ الكلام على حقيقته له أبعاده الجمالية وأثره في الخطاب، لكن ما يمكن تأكيده أنّالحقيقة لا يحصل فيها اختلاف كالمجاز، لأنّ الدلالة فيها ثابتة لا تتغيّر، فإمّا أن يبلغ مقصدها مباشرة، أو يجهلها مباشرة، وهكذا

---

[95]- لسان العرب، ابن منظور، مج10، ص52.

[96]- الإشارات والتنبيهات، الجرجاني، ص182.

[97]- المجيد في إعجاز القرآن المجيد، كمال الدين الزملكاني، تح:شعبان صلاح، دار الثقافة العربية، القاهرة، ط1، 1989، ص73.

[98]- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ج4، ص:23.

[99]- المصدر نفسه، ج4، ص:23.

فالحقيقة في اللّغة هي المعنى الثابت من التركيب اللغوي أو المعنى اليقين الذي لا يحمل وجوها في تلقيه وتأويله.

2. **أنواع الحقيقة**: يتفرع عن الحقيقة نوعان اثنان:

1.2. الحقيقة اللغوية: وتكون على وجهين:

_ حقيقة لغوية بالنسبة إلى الوضع الأول، ليخرج المجاز فيما تُجُوّزَ فيه.

_ حقيقة لغوية بالنسبة للوضع الثاني، ليخرج المجاز فيما تُجُوّزَ فيه.

مثال: القارورة، الموضوعة لكلّ ما يُقرُّ فيه المائع، ثم نقلت إلى الزجاج والخزف المعلومين.

2.2. الحقيقة الاصطلاحية: كاصطلاحات النّحاة والنّظار، والبلاغيين والنّقاد.

3.2. **الحقيقة العرفية:** كلفظ الدّابة الموضوع لكلّ ما يدبّ على وجه الأرض، ثم استعملت في العرف اللغوي على الحمار والفرس والبغال، ولذلك يسبق الذهن إليهم عند إطلاقه.[100]

وقد اقتضت الحقيقة أن يقابل المعنى لفظ يستدلّ به عليه، فإذا ذكر اللفظ وقفنا على المعنى المراد منه، فلفظ الثعلب دال على معنى الحيوان الغابي الماكر، فإذا خرج هذا المعنى عن سياق تركيب معناه الحقيقي أصبح يحمل معنى مجازيا يقصد به التحايل، كقولك: فلان يستعمل الحيلة، فإنّك قد أدّيت المعنى بطريق الحقيقة، عكس قولك: فلان كالثعلب، أو ثعلب. فإنّك قد أدّيت المعنى بطريق مختلف، يسمّى هنا التشبيه.

ومنه كما تكون الحقيقة لغوية، تكون عقلية، والعقلية هي إسناد الفعل، أو معناه*، إلى ما هو له عند المتكلّم في الظاهر أي ليشمل ما لا يطابق اعتقاده مما يطابق الواقع، وما لا يطابقه، وهي أربعة أضرب:

أ.ما يطابق الواقع واعتقاده، كقول المؤمن: (أنبت الله البقل).

ب. ما يطابق الواقع دون الاعتقاد، كقول المعتزلي ولمن لا يعرف حاله وهو يخفيها منه: (خالق الأفعال كلّها هو الله).

[100]- ينظر، الإشارات والتنبيهات، الجرجاني، ص182.

ت. ما يطابق اعتقاده دون الواقع، كقول الجاهل: (شفى الطبيب المريض).

ث. ما لا يطابق شيئا منهما، كالاقوال الكاذبة، نحو: جاء محمد، وهو لم يجئ.[101]

فحينما شبهت هذا الإنسان بالثعلب، فأنت قد وضعت المتلقي أمام صورة غير حقيقية لتُحقق المشابهة (الحقيقة)، لكن بعيدا عن تأدية المعنى بتركيب حقيقي، وهو مثله في الصور البلاغية الأخرى التي سنأتي عليها بالتفصيل في محاضرات قادمة مستقلّة.

ثانيا: المجاز:

1. مفهوم المجاز: يأتي لفظ المجاز في اللّغة من: "وَجُزَ الكلام وَجازَةً ووجْزًا وأَوْجز: قلّ في البلاغة. وأوجزه، اختصره... وأوجزت الكلام: قصرته، وفي حديث جرير: قال له عليه السلام: إذا قلت فأوجز أي أسرع واقتصر".[102] وفي هذا الشأن يقول ابن حجة الحموي:

وهُوَ المَجَازُ إلى الجَنَّاتِ إنْ عَمُرَتْ أبْيَاتُهُ بِقَبُولِ سَابِغِ النِّعَمِ[103]

أمّا في **الاصطلاح**،فيعرّفه الشريف الجرجاني أنّه: " لفظ مستعمل في غير ماوضع له من حيث هو كذلك".[104] أي في غير ما استعمل من لغة على حقيقتها، أمّا عند السجلماسي (ت:704ه): " هو القول المستفز للنّفس المتيقن كذبُه، المركب من مقدمات مخترعة كاذبة تَخيَّلُ أمورا وتحاكي أقوالا ".[105] ونستشفّ من هذا التعريف الذي قدّمه السجلماسي أنّه قد تنبّه إلى أهمّ ميزة تميز أسلوب المجاز وهو الأثر النفسي الذي يلحقه بالمتلقي، وبذلك يصبح أسلوب المجاز يتأرجح بين الوظيفتين الجماليـة والإقناعيـة، ويتفرع عنه نوعان:

---

[101]. الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص:31،32.

* نحو المصدر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبّة..

[102]. لسان العرب، ابن منظور، ج5، ص427.

[103]. خزانة الأدب وغاية الأرب، تقي الدين أبو بكر علي ابن حجة الحموي، شرح: عصام شعيتو، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، ط1، 1987م، ج2، ص:441.

[104]. الإشارات والتنبيهات، الجرجاني، ص183.

[105]. المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو محمد القاسم السجلماسي، تح: علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط- المغرب، ط1، 1980م. ص:252.

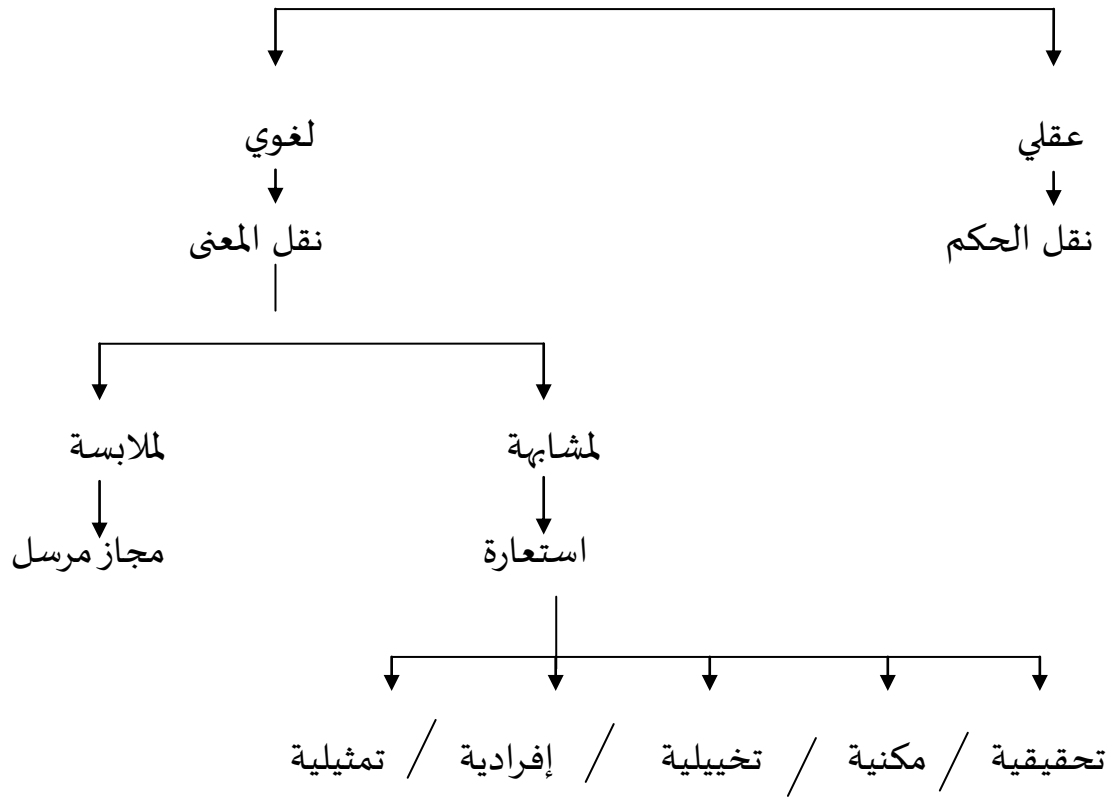

والتعبير المجازي يكمن في معناه لا في لفظه، وهذا ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني، بحيث أنكر أنّ يوصف اللّفظ بأنّه مجاز، بل إنّما يكون المجاز في المعاني، مع عدم إغفال النّظم.[106]

3. قرائن المجاز:

قرائن المجاز وإن كانت كثيرة، فإنّه يجمعها – كما ذكر الشريف الجرجاني- أمر واحد، وهو ما يدلّ على تعذر حمله على معناه الحقيقي، وهي قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي، وهادية إلى المعنى المراد المجازي، وأهل البلاغة سمّوا القرينة الهادية بالعلاقة.[107]

[106]- ينظر، دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص:265.

[107]- ينظر، الإشارات والتنبيهات، الشريف الجرجاني، ص185.

المحاضرة الثامنة

أنواع المجاز

1. المجاز المرسل:

هو استعمال اللّفظ في غير ما وضع له لعلاقة غير المشابهة، مع قرينة تدلّ على عدم إرادة المعنى الأصلي. وسمي مرسلا لكثرة العلاقات بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي. والمجاز كطاقة تصويرية ينتقل فيه الذهن من اللفظ الذي استعمل في غير موضعه إلى المعنى الأصلي بتوسط العقل فيكون الانتقال من الملزوم إلى اللازم في ذهن المتلقي، ومن اللازم إلى الملزوم في ذهن المتكلم، عن طريق المجاورة، ومثال ذلك: طلع الضوء.

في ذهن المتلقي= من الملزوم(الضوء) ⟵ إلى اللازم(الشمس).

في ذهن المتكلم= من اللازم(الشمس) ⟵ إلى الملزوم(الضوء)

عن طريق المجاورة، أي طلوع الضوء يلزم طلوع الشمس.*

ولو عدنا مثلا إلى قوله تعالى: ﴿ ويُنزِّلُ لكُم منَ السماءِ رزقا﴾ [غافر:13]، فنجد أنّ انتقال الذهن من معنى الرزق إلى معنى المطر، لاستحالة أن ينزل الرزق من السماء إنّما المطر، يكون النّظر فيه " إلى الألفاظ من خلال دلالتها على أفراد المفهوم في حقيقته نظر منطقي** لا نظر لغوي"[108]؛ أي أنّ المنطق يقتضي أن يكون التركيب [وينزل لكم من السماء مطرا يكون سببا في الرزق] مجازا مرسلا علاقته السببية.

*ولا يصح تعميم القول على اعتبار الانتقال في المجاز من الملزوم إلى اللازم ففي قسم منه وهو المجاز المرسل الذي علاقته الملزومية لا يظهر ذلك ويكون الانتقال فيه من اللازم إلى الملزوم. [ينظر، الاستدلال البلاغي، شكري مبخوت، ص:114].** ليس المراد هنا بالنظر المنطقي الاستدلال المنطقي الذي يكون ربطا بين القضايا، إنما هو إعمال العقل.

ومع هذا يبيّن الشريف الجرجاني في كتابه (الإشارات والتنبيهات) أنّ المجاز يكون الانتقال فيه من الوضع اللغوي أي سماع اللّفظ، إلى حقيقة اللّفظ، انتقالا بواسطة الوضع، ثم ينتقل منه إلى المعنى المجازي بتوسط الحكم لاستحالة إسناد اللفظ إلى الحقيقة،[109] مثال: ينزّل من السماء رزقا.

انتقال الذهن من سماع اللّفظ إلى الرزق انتقالا بواسطة الوضع اللغوي، (كلّ أنواع الرزق من نبات وغيره).الانتقال إلى المطر بتوسط الحكم باستحالة نزول الرّزق من السماء، انتقالا بالعقل. لكن ما يطرح التساؤل: لماذا العدول من التركيب الحقيقي إلى المجاز المرسل مع ما بيناه من معاني؟

العدول هنا جاء "لأنّ المطــر قد يثمر وقد لا يثمر بل قد يفسد، في حين أنّ الرزق هو الثمرة الصافية، ومادام أنّ المقام مقام امتنان وشكر وتذكير بما ينبغي عليهم من وجوب التوحيد كما يبين سياق الآية ذلك ﴿وما يتَذكَّرُ إلّا منْ يُنيب﴾لزمها العدول".[110]

وينزل من السماء(رزقا)

↓

نافعا

↓

ولهذا أعقب قوله بالامتنان (**وما يذكر إلا من ينيب**)

وينزل من السماء(مطرا)

↓

نافعا ضارا

وإلاّ لا يمكن نفي النّظر اللّغوي الذي يقوم عليه الاستدلال البلاغي، وهو الربط بين الألفاظ، وليس الربط بين القضايا كما هو عليه الحال في الاستدلال المنطقي.

[108]. مفهوم النص (دراسة في علوم القرآن)، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط6، 2005م، ص:207.

[109]. ينظر، الإشارات والتنبيهات، الجرجاني، ص:184،185.

[110]. ينظر، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (الحجاج) ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، عبد الله صولة، إعداد وتقديم:حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010م، ج1، ص:45.

ولو أعقب قوله بالامتنان(**وما يذكر إلا من ينيب**) لما صح ذلك.

والملاحظ أيضا أنّ تقنية المجاز تقوم على مبدأ الاستدلال، لكنّه استدلال يربط بين الألفاظ في حيز ضمني لا يظهر في السياق، وهو مبين في المخطط التالي:

[وينزل عليكم من السماء رزقا]

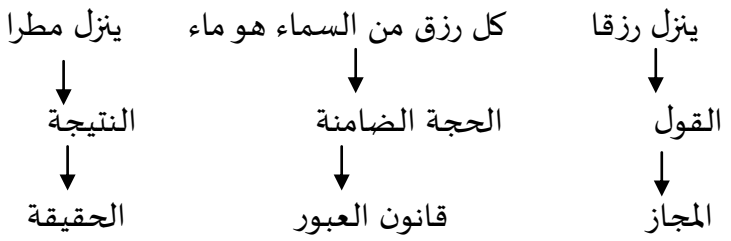

والنّاظر إلى الصورة البلاغيـة هنا يجد أنها تعبر عن المعنى المراد بتصوير فائق الروعة، من غير تطويل مملّ ولا إيجاز مخلّ، أي ما يقتضيه النموذج البلاغي الراسخ في ذهنية العربي، ومع هذا فيمكن القول بأنّ للمجاز طريقة في عرض المعنى أقلّ بعدا في التخييل من باقي الصور الفنّية الأخرى على نحو ما سنرى، وإن كان العرب يعدّونه " من مفاخر كلامها، فإنه دليل على الفصاحة ورأس البلاغة، وبه بانت لغتها عن سائر اللغات(...) والمجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة، وأحسن موقعا في القلوب والأسماع ".[111]

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قال أَحَدُهما إِنّي أَراني أَعْصِرُ خمْرًا﴾.[يوسف:36]

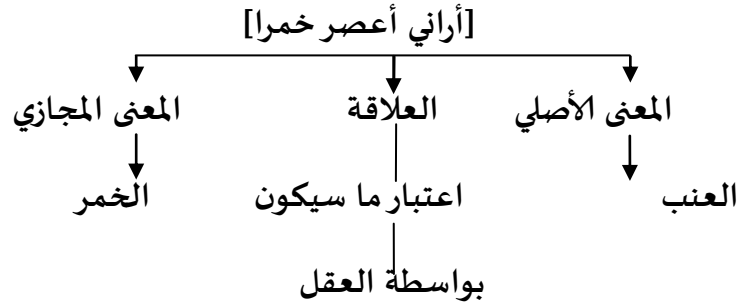

[111]. العمدة (في محاسن الشعر وآدابه ونقده)، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، تح: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2001م. ج1، ص:267،268.

فنجد أنّ ذهن المتلقي ينتقل إلى معنى الخمر لاستحالة أن يعصر الإنسان خمرا هو في الأصل عصير، إنّما يعصر عنبا. ولو تحدثنا أيضا عن العدول هنا إلى اللفظ المجازي (الخمر) بدل (العنب).

نعيد التساؤل نفسه: ما فائدة العدول من التركيب الحقيقي إلى المجاز المرسل مع ما بيناه من معاني، ألا يكفي إيراد اللفظ على حقيقته؟

والجواب-والله أعلم- أنّه ربما قد يصير العنب خمرا وقد لا يصير خمرا، فالمقصود هو الخمر وليس العنب، وبما أنّ المقام مقام تأويل كان كذلك.

وتصبح بذلك العلاقة التلازمية بين المعنى المجازي والمعنى الحقيقي علاقة منطقية بتوسط العقل، وهي في مجملها تقوم على مبدأ الاختزال والتبئير والحوار التأويلي:

الاختزال: [أراني أعصر عنبا يصير خمرا] = [أراني أعصر خمرا].

التبئير: التركيز على قيمة دلالية واحدة الخمر وصرف الذهن إليه.

الحوار التأويلي: يقوم على كفاءة المؤول =لا يؤول إلا ما يعرف.[112]

ومن خصائص المجاز التي تذكر:[113]

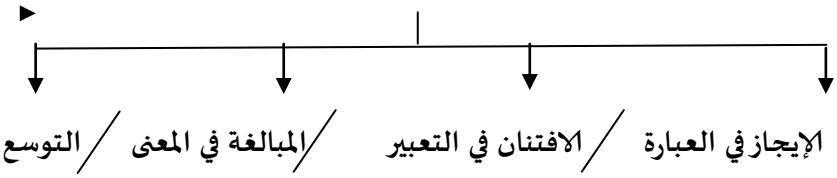

ولمّا كان هذا الخطاب موجها لجمهور العرب الذين برعوا في فنّ القول، وليس بفنّ المنطق والفلسفة، كان لابد أن يكون التركيب على النّسق والنموذج الذي يرتضيه العرب البلغاء.

[112]. ينظر، الحجاج في البلاغة المعاصرة (بحث في بلاغة النقد المعاصر)، محمد الأمين الطلبة، ص:65.

[113]. ينظر، البيان في ضوء أساليب القرآن الكريم، عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 2004م. ص:155.

2. المجاز العقلي:

المقصود بالمجاز العقلي إسناد الفعل إلى غير فاعلـــه، وهو كما عرّفه عبد القاهر الجرجاني: " أن يكون التجوز في حكم يجرى على الكلمة فقط، وتكون الكلمة متروكة على ظاهرها، ويكون معناها مقصودا في نفسه ومرادا من غير تورية ولا تعريض ".[114] ويعرّفه القزويني: " إسناد الفعل، أو معناه، إلى ملابس له، غير ما هو له، بتأوّل"[115] والمقصود بمعناه، ما يقوم مقام الفعل، كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبّهة وغيره.

مثال: في اسم المفعول، كقوله تعالى: {عيشَةٍ راضيّةٍ}. [القارعة7]، والأصل (مرضيّة).

في اسم الفاعل، كقوله: (سيل مُفعَمٌ)، والأصل (فاعِم).

في المصدر، قوله: شِعْرٌ شاعِرٌ، والأصل (يستشعر).

في الزمان، قوله: نهاره صائم، والأصل (صائم نهاره).

في المكان، قوله: طريق سائر، والأصل: (طريق يسير عليه).

في السبب، كقولك:هزم خالد جيش الروم، والأصل: (هزم جيش خالد).

والمقصود بتأوّل، أن يكون الإسناد إلى غير فاعله لا يقبل التأوّل، كقول الجاهل: شفى الطبيب المريض. فيكون هذا التركيب حقيقة عقلية، كما رأينا في مبحث الحقيقة.

فالعقل والمنطق لا يقتضيان التسليم بأنّ رجلا واحدا هزم الكثير من الجند، على الرغم من ثبوت شجاعته وبراعته في سياسة الحرب، ومن هنا يُلزمك العقل أن تنتقل بالذهن إلى القول بأن الفعل [هزم] غير مسند إلى فاعله الحقيقي الذي هو في الأصل [جيش

[114]. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص:293.

[115]. الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص:32.

خالد] وليس [خالدا] بمفرده لاستحالــة ذلك، وهو بخلاف غيره من الصور " يوقف عليه بالتأمل في طريقه أو معناه".[116] وقس على ذلك.

وهو مثله مثل المجاز المرسل يقوم على مبدأ المجاورة داخل المجموعة الواحدة.

في ذهن المتلقي= من الملزوم(خالد) ⟵ إلى اللازم(جيش خالد).

في ذهن المتكلم= من اللازم(جيش خالد) ⟵ إلى الملزوم(خالد)

عن طريق المجاورة، أي خالد في هزيمته الروم يلزم جيش خالد.

وللمجاز العقلي بنية لغوية تقوم على الانتقال بالمتلقي من معنى ظاهر(المعنى الظاهر= خالد) إلى معنى خفي (المعنى الخفي= جيش خالد) يورده المتكلم أثناء خطابــه لغايات بلاغية متعددة يقتضيها السياق ومنها:[117]

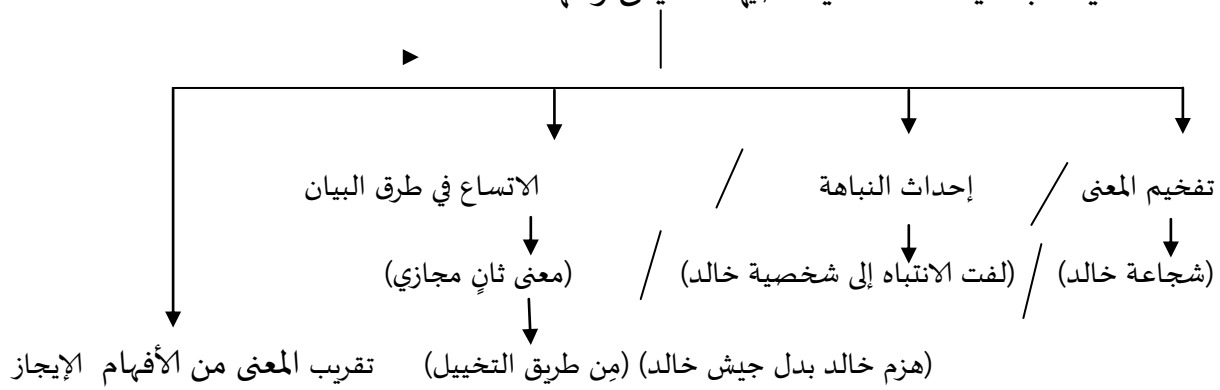

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فمَا رَبِحتْ تِجارَتُهم وما كانوا مُهْتَدين﴾.[البقرة:16]، فـ " ليس المجاز في الآية في لفظة (ربحت) نفسها، ولكن في إسنادها للتجارة(...) ومن الذي يخفى عليه مكان العلو وموضع المزيــة وصورة الفرقان بين قولــه تعالى:(فما ربحت تجارتهم)، وبين أن يقال: (فما ربحوا في تجارتهم) ".[118]

[116]. فلسفة المجاز بين البلاغة العربية والفكر الحديث، لطفي عبد البديع، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، مصر، ط1، 1997م، ص:14.

[117]. ينظر، دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص:295،294.

[118]. المصدر نفسه، ص: 294،295.

[فما ربحت تجارتهم]

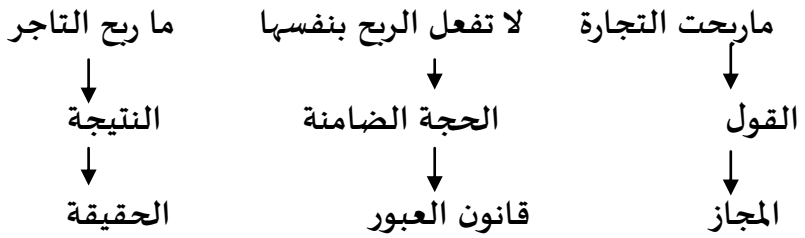

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الغَضَبَ ﴾ [الأعراف:154]،يقول محمد بن علي الجرجاني: "وذلك أنّ السكوت هو عدم التكلم عما من شأنه أن يتكلم، والغضبان حيث يتكلـم بكلام غير مألـوف منه بسبب هيجان القوة الغضبية، وغلبتها القوة العاقلـة والشهوية؛ جاز إسناد الكلام إلى الغضب من إسناد الشيء إلى سببه ".[119] وتقدير الكلام أن أسند الفعل إلى فاعله الحقيقي وهو موسى: [فلما سكـت موسى من الغضب] فيلزم على هذا أن يكون العرب بفصاحتهم وحسّهم البلاغي يتذوقون المعاني بالسليقة أكثر مما يتذوقونها بالاكتساب فجاء التركيب ليختار" إسناده إلى الغضب لا إلى صاحبه؛ لصيرورة صاحبه عنده كآلة الفعل مسلوب الاختيار، ولذلك اختير: سكت عن موسى الغضب.. ".[120] وهذا تفخيما لمعنى الغضب الذي انتاب موسى –عليه السلام- وتصويره من باب المبالغة وكأنّه قد صار هو الغضب.

[فلما سكت عن موسى الغضب]

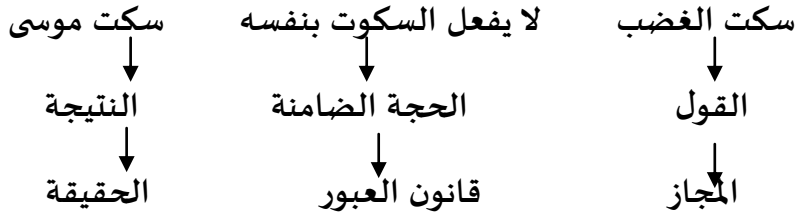

وجاء هذا السياق التلفظي المجازي لتحقيق غرض:

. تفخيم المعنى: شدة الغضب.

. الإيجاز: لمّا سكت موسى من شدة الغضب ⟷ لمّا سكت عن موسى الغضب.

[119]. الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد الجرجاني، ص:180.

[120]. المصدر نفسه، ص:180.

. إحداث النباهة: لفت الانتباه لشدة غضب موسى-عليه السلام-.

. الاتساع في طرق البيان: تشخيص الغضب.

. تقريب المعنى إلى الأفهام: الوضوح وقوة المعنى عن طريق التخييل.

وبالعودة إلى التساؤل نفسه: ما فائدة العدولإلى المجاز العقلي مع ما بيناه من معاني؟

نفسر هذا العدول إلى المجاز (سكت عن موسى الغضب) دون الحقيقة (سكت موسى من الغضب)، أنّه " يلزم من سكوت الغضب حصول الرضا، فإن موسى لم يرض بمعصيتهم ولا بقائهم على المعصية حتى تحصل التوبة، ولهذا أخبر الله سبحانه بسكوت الغضب دون حصول الرضا".[121]وهذا يفسّره السياق القبلي قول الله تعالى حكاية عن موسى-عليه السلام- الذي يوحي بشدّة الغضب: ﴿ولمّا رَجَعَ موسى إلى قَوْمِهِ غضْبانَ أَسِفًا﴾.[الأعراف:150].

وإذا أمعنّا النظر في المجاز المرسل منه والعقلي لا نجده في حقيقة الأمر إلاّ تقنية أسلوبية تسعى في جوهرها لا إلى تغيير المعنى، وإنّما إلى تأديته بطريقة غير ما هو عليه في الحقيقة، وهذا لغاية جعلِه أكثر جمالا وتأثيرا وإقناعا وتثبيتا في ذهن المتلقي. ومع هذا فالمجاز لا يحتاج إلى كثرة روية فكر وإعمال خاطر مثله مثل الصور البلاغية الأخرى التي سنأتي عليها، ذلك أنّ انتقال الذهن من المعنى الأصلي إلى المعنى المجازي ينبني على منطق التفكير التجاوري للألفاظ من دون الدفع بآلة التخييل إلى التأمل بالعالم المفارق للحقيقة، الذي يزيد بدوره من هذا الوقع والتلذذ، وهو " في مثل هذا أفضل من الحقيقة لخفته واختصاره ".[122]

[121]. إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص- سورية، ط7، 1999م. مج3، ج9، ص:51.

[122]- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ص:476.

_**ملاحظة:** المجاز العقلي -كما قرّره البلاغيون- هو الكلام المُفاد به ما عند العقل من الحكم فيه، وليس المُفاد به ما عند المتكلّم من الحكم فيه، وإلّا كان حقيقة عقلية، كقول الجاهل: شفى الطبيب المريض، حيث عدّ حقيقة.[123]

[123]- ينظر، الإيضاح، القزويني، ص34.

المحاضرة التاسعة

التشبيه وأضربه.

1. أسلوب التشبيه:

يعتبر التشبيه تقنية من التقنيات التصويرية التي تقوم على عقد المقابلة بين صورتين أو مفهومين أو معنيين بينهما وجه شبه غير منتزع من متعدد (مفرد)، لغاية التأثير والاستمالة، و" التشبيه جار في الكلام، أعني كلام العرب، حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم لم يُبْعِد".[124] وهذا ما جعل الكثير من أهل البلاغة يعظمون " أمر التشبيه لكونه أعلق بالطبع، وألذّ للنفس، وله نفع عظيم في باب الخطابة ".[125]

والتشبيه كما عرّفه السجلماسي(ت:704ه): " هو القول المخيل وجود شيء في شيء إما بأحد أدوات التشبيه الموضوعة له كالكاف وحرف كأن أو مثل، وإما على جهة التبديل والتنزيل".[126] وهو على عكس التمثيل تجد في الفرع نفس ما في الأصل من الصفة وجنسه وحقيقته، فـ " ترى صورتين على الحقيقة".[127] ومن ذلك قوله تعالى:[وتكون الجبال كالعهن المنفوش] .[القارعة:5]

التشبيه ← المقدمة: المقابلة = بين المعنيين(العهن- الجبال)
القياس = حمل الفرع (الجبال) على الأصل(العهن).
النتيجة: 1- تصوير هشاشة الجبال.
2- تصوير هول القيامة.

[124]. الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس يزيد بن محمد المبرد، تح: عبد الحميد هنداوي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة السعودية، 1998م، ج2، ص:396.
[125]. الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد الجرجاني، ص:132.
[126]. المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، السجلماسي، ص:220.
[127]. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص:236.

فإن قيل: أين مكمن التأثير في هذا التشبيه؟

أقول: مكمن التأثير في ذلك الاستدلال الذهني، أي تلك النقلة من الصورة الأولى (هيأة الجبال من ضخامة ومتانة وصلابة)، إلى صورة ثانيــة (الصوف المفرق بين أجزائه الهش)، وبعقد تلك المقابلة أو المقارنة بين الصورتين على اختلافهما يتأثر المتلقي بمدى هول مشهد القيامة، أن صُيّرت القيامة الجبال الراسيات الضخمة الصلبة المتينة شبيهة بالصوف المنفوش الهشّ. هذه النقلة المتباعدة بين الشيئين في الحقيقة، ثمّ الربط وعقد المقارنة بينهما، هو في حدّ ذاته إمتاع يفضي إلى الإقناع.

وما هو ملاحظ-أيضا- أنّ التشبيه هنا لا يقوم على مبدأ الاستدلال المنطقي، فلا "يأخذ عملية عقلية استنباطية محضة، بل عملية خطابية يتم بموجبها اتخاذ علامة مادية أو معنوية وجعلها شاهدا ومثالا على شيء، أو صفة من صفاته ".[128]

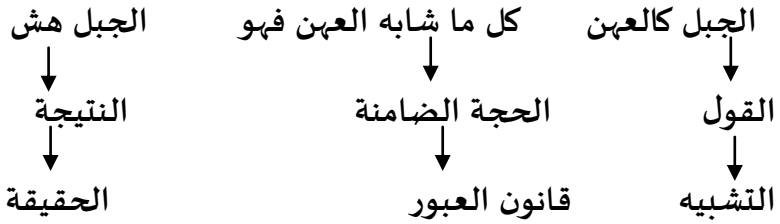

كما اعتبر التشبيه آلية حجاجية، يأتي كنتيجة تدعم الطرح المقدم من خلال تأدية المعنى وعرضها في تلك الصورة المغايـرة لصورة المعنى الحقيقي، ممّا يكسبها جماليــة وإقناعا أكثر" ألا ترى أنّك إذا شبهت صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا حسنا يدعو إلى الترغيب فيها، وكذلك إذا شبهتها بصورة أقبح منها، كان ذلك مثبتا خيالا قبيحا يدعو إلى التنفير عنها ".[129]

[128]. ينظر، الحجاج والاستدلال الحجاجي، حبيب أعراب، مجلة عالم الفكر، الكويت، يوليو 2001م، ع1، مج20، ص:124.

[129]. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي و بدوي طبانة، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، (د تا)، ج2، ص:123.

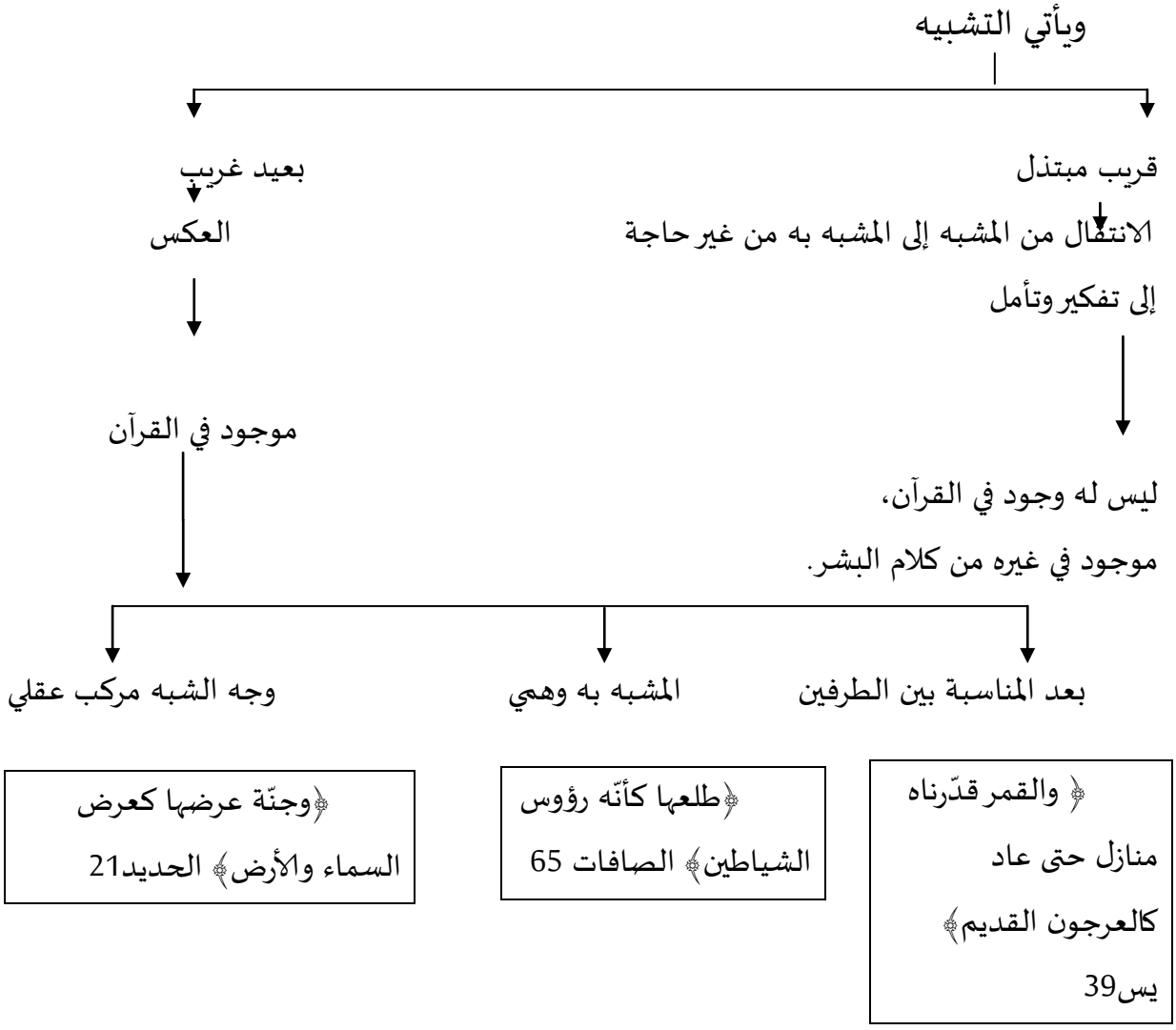

أ.بعد المناسبة بين الطرفين*[130]:

والانتقال هنا في المعرفـــة في قولـــه تعالى: [والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم] يس39من المحسوس إلى المحسوس جاء لبيان صفة المشبه، مع ما لبعد المناسبة بين منازل القمر في سيره، وبين العرجون القديم لخفاء وجه الشبه فيه، " وعاد بمعنى صار للرائي كأنّـه العود الذي تخرجه النخلة فيكون الثمر في منتهاه وهو الذي يبقى متصلا بالنخلة بعد قطع الكباسة منه وهي مجتمع أعواد التمر"[131]، ولم يكتف بذكر لفظة التشبيه (العرجون) فأردفها بكلمـة (القديم) حتى يكتمل الوصف، ويتضح المعنى

* بعد المناسبة هنا بمعنى: الخفاء في الانتقال من المشبه على المشبه به، وليس عدم العلم به في عرف الناس.

[131] - التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسة للنشر، (د ط)، 1984م. مج23، ص:22.

ويبرز إلى الحس والمشاهدة في أتم وجــه. " والقديم هو البالي لأنه إذا انقطع الثمر تقوس واصفارّ وتضاءل فأشبــه صورة ما يواجــه الأرض من ضوء القمر في آخر ليالي الشهر وفي أول ليلــة منه ".[132]

ب .المشبه به وهمي:

الانتقال هنا في المعرفة في قوله تعالى: ﴿طلعها كأنّه رؤوس الشياطين﴾ الصافات 65 هو من المعقول إلى الموهوم غير المعروف فـ " العرب تشبه القبيح الصورة بالشيطان(...) وإن لم يروه لما أنه مستقبح جدا في طباعهم لاعتقاده أنه شر محض لا يخلطه خير فيرتسم في خيالهم بأقبح صورة(...) وحاصله أنه لا يشترط أن يكون معروفا في الخارج بل يكفي كونه مركوزا في الذهن والخيال ".[133]

فليست الغرابة من تشبيه الطلع برؤوس الشياطين فقط، بل الغرابة والمقصود في هذا التقييد بأن شبهه بأمر زائد على المعلوم والمتعارف، فيكون سبب الغرابة في هذا المثال لقلّة رؤية العيون له، مما يستدعي إلى طول إمعان وفكر ودقة نظر.

وقد جزم حازم(ت:684ه) في المنهاج على أن أداة التشبيه كأن أبلغ من أداة الكاف[134] وهذا الوصف البالغ حد العظم في الذم ربما جاء اقتضاء لسياق الحال.

ج .وجه الشبه مركب عقلي:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وجنّة عرضها كعرض السماء والأرض﴾ الحديد21 فالانتقال فيه في المعرفة يكون من المعقول إلى المحسوس لتقرير صفة المشبه في ذهن السامع، من خلال تصويره تصويرا حسيا مشاهدا، أي " إخراج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة(...) والجامع العظم، وفائدته التشويق إلى الجنة بحسن الصفة وإفراط السعة".[135]

---

[132]. المصدر نفسه، مج23، ص:23.

[133]. روح المعاني، الألوسي، ج23، ص:95.

[134]. ينظر، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار العرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط3، 1986م. ص:390.

[135]. ينظر، الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار مصر للطباعة، الفجالة - مصر، (د ط)، (د تا). ص:357.

وتأتي استعمالات التشبيه في الآيات لتبين:

أنّ نتائج* الحجة (ب) الصورة الفنية (العرجون القديم..رؤوس الشياطين..السماء والأرض..)

أقوى حجة من:

نتائج الحجة (أ) الحقيقة ← (القمر قدرناه منازل..طلعها.. الجنة)

ويأتي التشبيه لهدف وغاية:

الإيضاح/ الفعل العجيب/ الشرح/ تذليل عسر/ تثبيت المعنى في الذهن/ خلابة البيان

وتأتي مراتب التشبيه من حيث السلم البلاغي كالآتي:[136]

أقواها: حذف الأداة ← ادعاء أنّ المشبه هو عينه المشبه به. لا وجود لمزية أحد على الآخر.

حذف ووجه الشبه ← فتح مجال التخييل.

أوسطها: ذكر الأداة: ← يدل على ثبوت مزية للمشبه به على المشبه، وعدم ادعاء أن المشبهو عينه المشبه به.

حذف وجه الشبه ← فتح مجال التخييل.

أقلها: ذكر الأداة ← يدل على ثبوت مزية للمشبه به على المشبه، وعدم ادعاء أن المشبه هو عينه المشبه به.

ا

ذكر وجه الشبه ← عدم فتح مجال التخييل.

تشبيه بليغ

تشبيه مرسل ← **تشبيه مجمل**

تشبيه مؤكد ← **تشبيه مفصل**

تشبيه تام

* النتائج من حيث التأثير لا من حيث الاستدلال الذي يقتضي مقدمات تلها نتائج.

[136]. ينظر، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد الجرجاني، ص:160.

مع عدم إغفال عنصر السّياق، إذ هو المؤطر لعملية الوقوف على مراتب التشبيه في السلم البلاغي. والقرآن إذ يطالعنا بمثل هذه التشبيهات " يسير بأسلوب التشبيه إلى غاية بعيدة من الصدق والقوة، وروعــة التأثير، وجودة التصوير".[137] ويصبح لدينا وفق هذا الطرح قناعة أنّ " التشبيه تقنية حجاجية أراد المتكلم باستخدامها تقوية المعنى المراد توصيله ".[138]

2. **أسلوب التمثيل:**

التمثيل وجه من أوجه التعبير وطرقه، يختلف عن باقي الصور الفنية الأخرى فهو "المثل الأعلى في السحر، والمنزلة الرفيعــة في التأثير".[139] والمماثلة كما عرّفها أهل البلاغــة هي:" نقل الكلام بأسره إلى معنى آخر شبيه بمعناه الوضعي فإن سار عن ناقلــه واشتهر، فهو المثل السائر.[140] وهو عند السجلماسي(ت:704ه) بـ " أن يقصد الدلالة على المعنى فيضع ألفاظا تدل على معنى آخر ذلك المعنى بألفاظه مثال للمعنى الذي قصد الدلالة عليه".[141]

إنّ أسلوب التمثيل من أعظم الأساليب التصويرية بلاغة وحجة فهو الأقدر على "تقريب المراد إلى العقل، وتصويـره بصورة المحسوس، فإن الأمثال تصور المعاني بصورة أشخاص، لأنها أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس".[142] ولمّا كان العرب ميالين إلى الدنيا ومتاعها كان لابد أن يعتمد القرآن أسلوب التمثيل، فـ " في ضرب الأمثال تبكيتٌ للخصم الشديد الخصومة، وقمعٌ لسورة الجامح الأبيّ، فإنه يؤثر في القلوب مالا يؤثر في وصف الشيء في نفسه؛ ولذلك أكثر الله تعالى في كتابه ".[143]

---

[137]. الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني، ج4، ص:136.

[138]. بلاغة النص التراثي (مقاربة بلاغية حجاجية-بلاغة رسالة المفاخرة-)، محمد مشبال، ص:115.

[139]. الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ج4، ص: 131.

[140]. الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد الجرجاني، ص:179.

[141]. المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، السجلماسي، ص:255.

[142]. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ص:484.

[143]. المصدر نفسه، ص:484.

والتمثيل على عكس التشبيه ينتقل فيه الذهن من صورة التركيب إلى صورة تركيب عن طريق المماثلة فيكون " الشبه منتزع من مجموعها، من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض، وإفراد شطـر من شطر، حتى إنك لو حذفت منها جملـة واحدة من أي موضع كان، أخلّ ذلك بالمغزى من التشبيه".[144] ويقوم التمثيل في العادة على ركني المشبه والمشبه به، إلاّ أنّهما في التمثيل يكونان صفة أو حالا أو قصّة، لكن " لا تجد في الفرع نفس ما في الأصل من الصفة وجنسه وحقيقته، ولا يحضرك التمثيل أوصاف الأصل على التعيين والتحقيق، وإنما يخيّل إليك أنه يحضرك ذلك(...) فصار وزان ذلك أنّ المرآة تخيل إليك أنَّ فيها شخصا ثانيا صورته صورة ماهي مقابلة له، ومتى ارتفعت المقابلة، ذهب عنك ما كنت تتخيله"،[145] ليبدأ المعنى يتركّز ويتّسع ليصوّر لنا مشهدا روعة في الخيال. ويبتدئ أسلوب التمثيل في الغالب بـ (مَثَل) بفتح العين لا تسكينها، فلا يوضع المثل من حيث المعنى بالفتح موضع المثل بالتسكين، لأنّه ليس أداة تشبيه[146]، فقوله تعالى: ﴿قلِ إنّماَ أنا بَشَرٌ مِثْلُكُم يوحى إليّ﴾ [الكهف:110]،وغيرها من الآيات التي جاء فيها لفظ المثل بالتسكين يعني الشبه، أمّا لفظ المثل بالفتح فيعني الصفة والحال والقصة، فقوله: [إنما أنا بشر مثلكم] أي شبهكم، ولا يمكن قول أنا بشر في حالكم وفي مثل صفتكم، أو أنّها جاءت في سياق القص. أمّا قوله تعالى:{ مَثَلُ الجنَّةِ التي وثعِدَ المتّقون} [محمد:15]أي [صفة الجنة التي وعد المتقون] ولا يمكن قول: [الجنّة التي وعد المتقون تشبه ما في الدنيا من أنهار..]، لأنّ التشبيه هنا غير" واقع في العيان وما يدركه الحس"[147]، إذ خرج التشبيه الذي وجه الشبه فيه منتزع من متعدد عن نطاق ما تراه العين، بل يمكن القول: صفة الجنة التي وعد الله المتقين تقارب في شبهها بما يراه ويعقله الإنسان من ماء ولبن وخمر وعسل الدنيا لكنها أنهار فجمع بين شيئين (الجنـة وما فيها من أنهار من مـاء.. وبين المحســوس من أنهار وماء وخمر

[144]. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص:109.

[145]. المصدر نفسه، ص:237.

[146]. ينظر، الأمثال في القرآن الكريم، محمد جابر الفياض، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، ط2، 1995م، ص:143.

[147]. المصدر السابق، ص:236.

ولبن وعسل) " في حكم تقتضيه الصفة المحسوسة لا في نفس الصفة(...) وذلك أنّك بالتمثيل في حكم من يرى صورة واحدة، إلا أنه يراها تارة في المرآة، وتارة على ظاهر الأمر".[148] فتصبح هنا بحاجة إلى تأويل بحيث لا تتصور معنى صفة الجنة من طريق العقل، لأنّ التشبيه تجاوز العين وجاء من طريق العقل.

فليس من صفة وجنس وحقيقة الفرع (الجنة) ما في الأصل (الدنيا) بل أعطاك من الجنة دنيا أخرى، فأصبحت في حكم من يرى صورة واحدة عن طريق التخييل.

وتدخل لفظة مثَل على المشبه والمشبه به أحيانا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ومَثَلُ الذين كفروا ﴾ [البقرة:171]يظهر المثل في الآية مبهما لا يفصح عن شيء من المعنى؛ مثلهم في ماذا؟ لكن حينما ننظر إلى الآيــة التي بعده (المشبه بـه){كمَثَلِ الّذي يَنْعِقُ بما لا يسمع}[البقرة:171]يتضح لنا المعنى المراد من هذا التمثيل، فنجد أن الله تعالى " أضاف المثل إلى الذين كفروا ثم شبههم بالراعي، ولم يقل كالغنم(...) مثل الذين كفروا كمثل البهائم التي لا تفقه ما يقول الراعي أكثر من الصوت".[149]

ويكون التمثيل في الوعظ:[150]

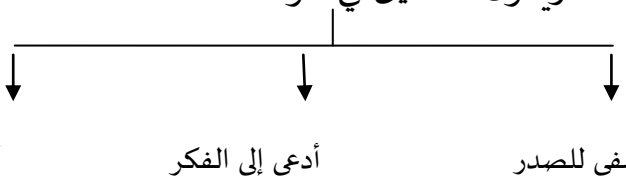

ويكون في المدح:[151]

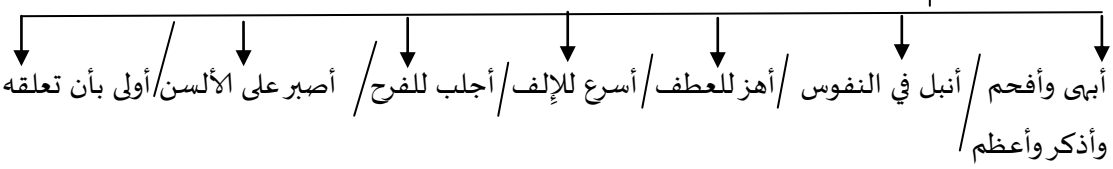

[148]. المصدر نفسه، ص:236.

[149]. البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2010م، ص:112.

[150]- ينظر، أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص:116.

[151]. ينظر، المصدر السابق، ص:115.

كما أنّ لفظة مَثَل قد تدخل على المشبه دون المشبه به، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿واضْرِبْ لهم مَثَلَ الحيواةِ الدنيا﴾ [الكهف:45]فشبه حال الدنيا بماء أنزله من السماء فأنبت الزرع ثم اخضر ثم اصفر ففني، وتنطلق هذه المعرفة التي يريد الله من عباده أن يدركوها من المعقول إلى المحسوس.

المقدمة1: المعرفة العقلية ⟵ الحياة الدنيا (لا قيمة لها).

المقدمة2: المعرفة الحسية ⟵ كماء .. (الفناء).

النتيجة1 ⟵ عدم الاغترار بالدنيا الفانية.

النتيجة 2 ⟵ الالتفات إلى الآخرة.

ويكون في الذم:[152]

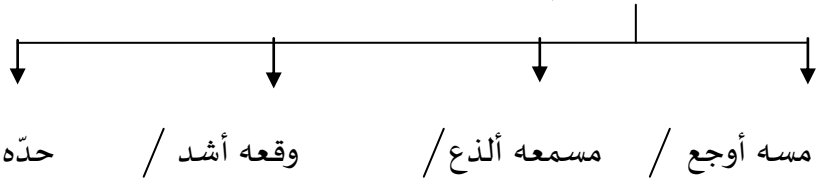

ومن خصائص أسلوب التمثيل:[153]

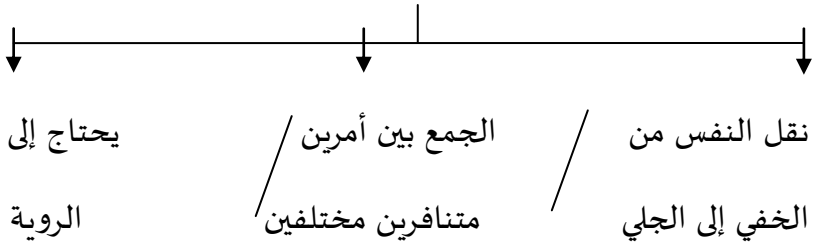

وقد تدخل لفظة مثَل على المشبه به دون المشبه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أعجبَ الكُفارَ نَبَاتُه﴾ [الحديد:20] وهذا مثل ضربه الله للنّاس، بأن شبّه حال الدنيا من لعب ولهو وحب للزينة والتفاخر، وحبّ التكاثر في الأموال والأولاد في حال حياتهم، فلمّا انقضى أجلهم سلبت منهم الحياة فلم تنفعهم ملذات تلك الحياة، كذلك اضمحل النبات

[152]. ينظر، أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص:115.[152]

[153]. ينظر، البيان في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، ص:60-64.

المخضر فصار حطاما بعد أن نزل الغيث ومكث في الأرض، وأُخرج النبات وأُعجب الزراع به.

فإذا دخلت لفظة مثَل على المشبه دون المشبه به كان التأكيد على المشبه، وإذا دخلت لفظة مثَل على المشبه به دون المشبه كان التأكيد على المشبه به، أمّا إذا دخلت لفظة مثَل على المشبه والمشبه به فالتأكيد يقع عليهما الاثنين.

المحاضرة العاشرة

الاستعارة

1. مفهوم الاستعارة:

1.1. في اللّغة: تأتي مادّة [عور] في لسان العرب من: " العارية والعارة: ما تداولوه بينهم، وقد أعاره الشيء وأعاره منه وعاوره إياه... واستعار: طلب العارية. واستعار الشيء واستعاره منه: طلب منه أن يعيره إيّاه".[154]

2.1. في **الاصطلاح**: الاستعارة هي استعمال اللفظ في غير موضعه لعلاقة المشابهة- أي هو تشبيه حذف أحد طرفيه المشبه أو المشبه به- وهذا التجاوز يكون بقرينة تدل على عدم إرادة المعنى الأصلي وإلا أصبح اللفظ حقيقـة. والاستعارة: " ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل، والتشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتدركه العقول، وتستفتي فيه الأفهام والأذهان، لا الأسماع والآذان".[155]

ويعرفها ابن سنان(ت:466هـ) على أنّها " تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل لإبانة ".[156] والنقل هنا ليس مرتبطا بالاسم بل في ادّعاء معنى الاسم للشيء كما ذكر عبد القاهر الجرجاني.[157] أي الانتقال في الدلالة من الاستعارة إلى حقيقتـها، على عكس التشبيـه فهو قائـم على المقابلـة والقياس دون الانتقال؛ وهذا لحضور المشبّه والمشبّه به.

فلو قلت مثلا: ﴿**وإِنَّهُ فِي أَصْلِ الكِتَاب**﴾ [الزخرف:4]، فالاستعارة ليست في نقل الاسم (الأم)، ولكن نقل معنى الاسم (الأم) والمتمثل في معنى(الأصل) " فإن حقيقته: [وإنّه في أصل

---

[154]. لسان العرب، ابن منظور، مج4، ص:618.

[155]. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص:20.

[156]. سرّ الفصاحة، أبو محمد عبد الله بن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1982م. ص:134.

[157]. ينظر، دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص:337.

الكتاب]، فاستعير لفظ الأم للأصل، لأنّ الأولاد تنشأ من الأم كما تنشأ الفروع من الأصول، وحكمة ذلك تمثيل ما ليس بمرئي حتى يصير مرئيا، فينتقل السامع من حدّ السماع إلى حد العيان، وذلك أبلغ في البيان ".[158]

الاستعارة
- **المقابلة = بين المعنيين (الأم-الأصل).**
- **القياس = حمل الفرع (أصل الكتاب) على الأصل(الأم).**
- **الانتقال ← في الدلالة**

استعمال لفظ (الأم) في موضع لفظ (الأصل) والانتقال به

لمعنى (الأم) ← الاستبدال = نشأة الفروع من الأصول.

والاستعارة قائمة في جوهرها على خصيصتين هما: الاستدلال المنطقي، وخاصية فوق الإبطال.

2. <u>الاستدلال المنطقي</u>:[159]

يعتمد الاستدلال المنطقي على الربط بين مقدمات تقتضي الترتيب للوصول بها إلى نتيجة قد تكون صريحة أو ضمنية، ومن ذلك قولك:

تشبيه
- **فلان يشبه الأسد ← المقدمة1: مشكوك فيها**
- **كل ماشابه الأسد فهو شجاع ← المقدمة2: مشكوك فيها**
- **ليس كل من شابه الأسد فقد بلغ في القوة نهايتها ← . نتيجة**

استعارة
- **رأيت أسدا ← المقدمة1: مشكوك فيها**
- **الأسد قوي شجاع ← المقدمة2: يقينية**
- **كل من شابه الأسد فقد بلغ في القوة نهايتها ← نتيجة**

[158]. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ص:359.

[159]. ينظر، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، تح: نصر الله حاجّي مفتي أوغلى، دار صادر، بيروت، ط1، 2004م. ص:163.

ولهذا السبب كانت الاستعارة أوقع في النّفوس من التصريح بالتشبيه.فالاستعارة حققت بهذا غايتين: الأولى الإيجاز، والثانية المهارة في إبراز المعنى لغاية التأكيد والتشديد على شجاعة الرجل. وعليه تصبح الاستعارة ضربا من القياس؛والقياس:"عملية فكرية ينعكس فيها العقل ذاته، أو ينعكس فيها على ما وضع من قواعد وشروط من ذاته يعتبرها أصدق صورة للاستدلال العقلي".[160] والاستعارة عمدة الخطاب البلاغي وأبرزها قيمة وهي: "من الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم للوصول إلى أهدافه الحجاجية، بل إنها من الوسائل التي يعتمدها بشكل كبير جدا، ما دمنا نسلّم بفرضية الطابع المجازي للغة الطبيعية ".[161]

3.العلو في السلم البلاغي:

ما يميز الاستعارة أنها تتصدر السلم البلاغي مقارنة بالقول العادي. فلو أخذنا مثلا قوله تعالى: ﴿ **مَنْ يشإ الله يُضْلله ومن يشأ يَجْعَله على صِراطٍ مُّستقيم**﴾ [الأنعام:39]، فقلنا ومن يشأ يجعله مهتديا-كلام على حقيقته- لما أمكن للمتلقي أن يتصور شأن الهداية بتلك الصورة التي جاءت على هذا النحو: [على صِراطٍ مُّستقيم] -استعارة- لماذا؟ لأنّ النّفس البشرية تميل لكلّ ماهو الأغرب، وللأشياء الغامضة البعيدة تكون أقرب، فكلما اندفع السامع لإعمال العقل في النّظر إلى المعاني، وتوقف ذهنه وتأمل في تراكيب ما تحويه تلك المباني، اتسعت رقعة الخيال، ولقيت النّفس استحسانا، ووجدت لها متنفسا ووقعا ولذّة، فالاستعارة" هي حيّة لأنها تعطي دفعة قوية للخيال كي يفكر أكثر على مستوى التصور، أي إنها في التحليل الأخير تجعلنا نحيا أكثر"[162].

---

[160]. المنطق الصوري منذ أرسطو حتى عصورنا الحاضرة، علي سامي النشار، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط5، 2000م.ص:374.

[161]. اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، درب سيدنا، الدار البيضاء، ط1، 2006م، ص:105.

[162]. الحجاج في البلاغة المعاصرة (بحث في بلاغة النقد المعاصر)، محمد الأمين الطلبة، ص:241.

نتيجة	↑	الإقناع والتأثير
تركيب استعاري		يجعله على صراط مستقيم
تركيب حقيقي		يجعله مهتديا

وتعليقا على ما سبق،نجد أن الإخبار حاصل في الضربين من الكلام: يجعله مهتديا، ويجعله على صراط مستقيم، لكن القول الثاني أكثر جمالا وأشدّ إقناعا وتأثيرا وأقوى حجّة وبيانا، والسرّ في ذلك يعود إلى خاصية الغموض في الصور الاستعارية، وهذا راجع إلى" أنّ اللّفظ لم ينصهر مع المعنى، وأنّ المعنى الأول لا يقود في سهولة إلى المعنى الثاني" [163]

وبالتأكيد على أنّ الاستعارة قوة حجاجية تعلو السلّم الحجاجي مقارنة بالخطاب العادي يضاف إليها خاصية أخرى وهي:

3. <u>أنها فوق الإبطال</u>:

ونعني بفوق الإبطال أي: " عدم ورود دليل مضاد بعد القول الاستعاري يخدم النتيجة المعاكسة".[164] وهذا ما أكسبها أيضا خاصية حجاجية إضافية.

فلو قلنا مثلا: زيد شجاع لكنه متهور

مقدمة ← زيد شجاع (تركيب حقيقي) خال من الاستعارة

لكن ← رابط حجاجي. يثبت للثاني ما نفاه عن الأول، أي أثبت التهور لزيد مع نفي الشجاعة عنه وهي من جنس التهور.

النتيجة ← السياق الذي جاء بعد الرابط مقبول(متهور)، زيد شجاع متهور.

ولو قلنا مثلا: أعجبت بأسد لكنّه متهور

[163]. مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين (دراسة تاريخية فنية)، أحمد عبد السيد الصاوي، ص:48.

[164]. اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص:106.

مقدمة← أعجبت بأسد (تركيب استعاري) غير حقيقي.

لكن ← رابط حجاجي. يثبت للثاني ما نفاه عن الأول، أي أثبت التهور للأسد مع نفي الأسدية عن زيد وهي ليست من جنس التهور.

النتيجة←← السياق الذي جاء بعد الرابط غير مقبول(متهور)، أعجبت بأسد لكنّه متهور.

وتأتي الاستعارة لغاية:[165]

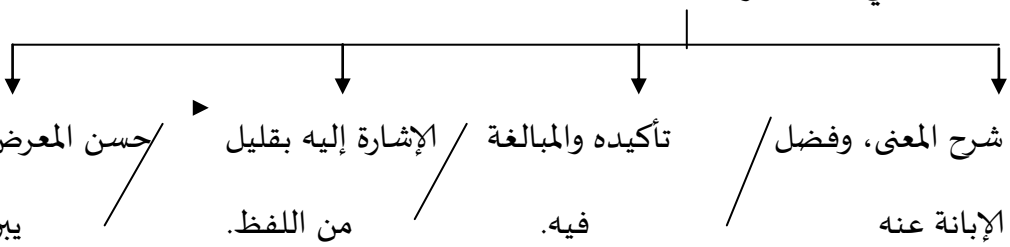

ونصل في نهاية هذا المبحث على أنّ العلاقة بين اللّفظ الحقيقي والمجازي في التمثيل والتشبيه والاستعارة يكون عن طريق المشابهة، على عكس مارأيناه في المجاز، وما سنراه في الكناية.

[165]. ينظر، كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، أبو هلال العسكري، ص:268.

المحاضرة الحادية عشر

الكناية:

- **توطئة:**

وظّف القرآن الكريم الكناية على غرار ما رأيناه من أساليب التصوير البلاغية الممثلة في المجاز والتشبيه والتمثيل والاستعارة، وتعتبر الكناية من الأساليب التصويرية المقدمة على التصريح، وتعرف كونها وسطا بين الحقيقة والمجاز، فهي أسلوب فنّي له بلاغته.

1. مفهوم الكناية:

1.1. في **اللّغة**:تأتي الكناية في لسان العرب بمعنى: " الكناية أن تتكلّم بشيء وتريد غيرها، وكنى عن الأمر بغيره يكني كناية: يعني إذا تكلّم بغيره مما يستدلّ عليه نحو الرفث والغائط ونحوه... وكَنَوْتُهُ لغة في كنَيتُه".[166]

2.1. في **الاصطلاح**: عرفها عبد القاهر الجرجاني(ت:471ه) بقوله: " أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه ".[167]

وتُعَرّف على أنّها " لفظ أريد به ملزوم معناه الوضعي من حيث هو كذلك، فإن لم يكن اللازم ملزوما، احتاج العقل فيها إلى تصرف، بذلك التصرف يصير اللازم ملزوما".[168] ويراها السجلماسي(ت:704ه): " عبارة عن أن تذكر لفظة وتفيد معناها معنى ثانيا، هو المقصود(...) وإذا وجب في الكناية اعتبار معانيها الأصلية، لم يكن مجازا أصلا ".[169]

---

[166]. لسان العرب، ابن منظور، مج15، ص:233.

[167]. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص:66.

[168]. الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد الجرجاني، ص:189.

[169]. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، الفخر الرازي، ص:161،162.

والعجيب في الكناية على غرار الصور البلاغية التي رأيناها أنّها وسط بين الحقيقة والمجاز، أي أنّها تقبل المعنى الحقيقي، ولكن لا يراد بها هذا المعنى المذكور بلفظه الخاص بل لازمه، وهو معنى رديف. وإن قيل: كيف السبيل إلى معرفة أنّ المراد بهذا التركيب الحقيقي لازم معناه؟ قلنا: بطريق السياق المتمثل في العرف والعادة غالبا.

فإن قيل مثلا: ضرب بيد من حديد، فالعادة تقتضي أنّه معنى آخر غير المعنى الحقيقي (الضرب بحديدة)، إنّما المراد القوّة، وقس على ذلك.

2. ما غرض استخدام الأسلوب الكنائي؟

حين تأتي الصورة في الأسلوب الكنائي، فإنّها تأتي ملبية حاجة من حاجات الطبيعة البشرية المتطلعة إلى كل ماهو " آنس للنّفس، وأوقع للحس، وأدخل في الإعجاب والإعجاز".[170] وبذلك اعتبرت الكناية أسلوبا فنيا يراد به تقوية المعنى، وتبليغه في أحسن صورة، وأشّد وقع.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ولا تَجْعل يدَكَ مَغلولَةً إلى عُنُقِكَ ولا تَبْسُطْها كلّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَذْمومًا مَدْحورًا﴾ [الإسراء:29]، يأتي التعبير هنا ليصوّر لنا تصويرا محسوسا لظاهرة البخل باليد المغلولة إلى العنق، وهو تصوير محسوس معبر لهذه الخلة المذمومة في صورة بغيضة منفرة(...) والتعبير ببسطها كل البسط يصور هذا المبذر الذي لا يبقي من ماله على شيء، كهذا الذي يبسط يده، فلا يبقي بها شيء.[171]

ومعنى (اليد مغلولة إلى العنق)، (ومبسوطة كل البسط) ظاهر لهم، لكن أن يراد بها معنى البخل والإسراف والتبذير غير ظاهرفي السياق، معلوم في العرف والعادة، فوصف الظاهر بالخفي ذمّا للأمرين وتنفيرا منهما، عن طريق ما تصور لهم المخيّلة، والمقصود بهذا

[170]. الصورة الأدبية في القرآن الكريم، صلاح الدين عبد التواب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، مصر، ط1، 1995م.، ص:71.

[171]. ينظر، من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م، ص:173.

العدول هنا عرض المعنى في صورة محسوسة لغرض التأثير والإقناع. وبهذا " استطاعت الكناية أن تنقل المعنى قويا مؤثرا ".[172]

ويمكن أن نورد المعنى الكنائي كالآتي:

اللازم: اليد مغلولة إلى العنق ———— الملزوم: البخل.

اللازم: اليد مبسوطة كل البسط ———— الملزوم: التبذير.

ووجود اللازم يدل على وجود الملزوم في الذهن، و" المراد باللزوم الذهني(...) أن يكون المعنى الملزوم إذا حصل في الذهن ترتب عليه حصول لازمه مطلق الترتّب".[173] بمعنى أن معرفة المعنى المراد بطريق الكناية يتوقف على وجود وسائط تسهل أو توجب عملية الانتقال من حكم إلى حكم يليه، مع نفي واحد منها بعد واحد، وقد يكون النفي لحكم واحد فقط حسب قرب أو بعد الكناية، وهو ما يعرف عند البلاغيين " باللزوم غير البين وهو: ما لا يكفي في جزم العقل به تصور اللازم والملزوم بل يتوقف على وسائط ".[174]

ولتوضيح هذا نقدم المخطط التالي:

الحكم1	الحكم2	الحكم3	حكم 4
↓	↓	↓	↓
نفي*	نفي	نفي	إثبات
↓	↓	↓	↓
اليد مغلولة إلى العنق	/عدم القدرة على تحريك اليد	/ عدم القدرة على الإنفاق/	البخل.

وإن كانت الكناية تقوم على اللزوم الذهني –الوسائط بين اللازم والملزوم- لإعطاء دفعة تخييلية للتفكير في لازم المعنى المراد، فإنّها في ذلك تقوم على مبدأ ذكر الشيء مع

[172]. المرجع نفسه، ص:173.

[173]. الاستدلال البلاغي، شكري مبخوت، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بنغازي-ليبيا، ط2، 2010م. ص:106.

[174]. المرجع نفسه، ص:107.

دليله، " ومعلـوم أنّ ذكر الشيء مع دليلــه، أوقع في النّفـوس من ذكر الشيء لا مع دليله، فلأجل ذلك كانت الكناية أبلغ".[175]

المقدمة 1: اليد مغلولة إلى العنق= النتيجة: البخل.

المقدمة 2: عدم القدرة على تحريك اليد =

المقدمة 3: عدم القدرة على الإنفاق =

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ولَمَّا سُقِطَ في أيديهم﴾ [الأعراف:149]، والآية " كناية عن شدة ندمهم على عبادة العجـل؛ لأنّ من شأن من اشتد ندمه أن يعـضّ يده غما، ويصيـر يده مسقوطا فيها؛ لأن فاه قد وقع فيها".[176] وقد تقدمت التكنية على عدم الإظهار ليس فقط لإفهام السامع وتقريبه من المعنى المراد، وتسهيل إيصال الفكرة، بل لما لهذا الوصف من عرض للمعنى في صورة محسوسة تبرز الجانب النفسي لعبدة العجل بعد عودة موسى- عليه السلام- غضبان أسفا، وبيان زللهم وعوار فعلتهم. فعضّ الظالم على يديه أقوى دليل على شدّة ندمه.

ويمكن أن نورد المعنى الكنائي كالآتي أيضا:

اللازم: سقط في أيديهم ــــــــــ الملزوم: الندم.

وتورد الحجة في التعبير الكنائي عن طريق استدلال منطقي هو كالآتي:

المقدمة 1: سقط في أيديهم (عض اليد)النتيجة: الندم. حجج مكثفة

المقدمة 2: إذاية اليد بفعل العض

المقدمة 3: التألم

* معنى النفي هنا: هو إثبات الحكم الحقيقي في الذهن ثم نفيه لتعارضه مع سياق الكلام، والعرف والعادة، ثم الانتقال إلى الحكم الثاني فيثبته، ثم ينفيه وهكذا إلى أن يصل إلى لازم المعنى المراد بإقصائه الحقيقة بالتدرج.

[175] نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، الفخر الرازي، ص:162.

[176]. الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد الجرجاني، ص:193.

وعبارة (نئا بجانبه) في قوله تعالى:{وإذا أنْعَمْنا على الإنْسَانِ أعْرَضَ ونأى بجانِبِه} [فصلت:51] جاءت على سبيل التلميح لا التصريح، وهي بمعنى الابتعاد، والجانب بمعنى النّفس والذات، ثم كنى بِذَهَبَ بنفسه عن التكبر والخيلاء.[177]

وقولنا أنّ النأي بالجانب بمعنى الذهاب بالنّفس صحيح، لكنّه لِم لَم يستعمل لفظ (النّفس) بدل لفظ (الجانب)؟

الجواب: لو أنّه استعمل لفظ (النّفس) لتوقفت عملية اللزوم الذهني عند الوسيط الذي بمعنى الإعراض ويصبح نتيجة لذلك، ولا يمكن أن يتعدى إلى المعنى المقصود، وهو الكبر والخيلاء. لماذا؟ لأنّ حركة النأي بالجنب في عرف النّاس نجدها دقيقة التعبير والتصوير للازم المعنى المراد به الكبر والخيلاء، وتصبح لعبارة (نئا بجانبه) ذلك البعد الفنّي الجمالي الحجاجي الذي يخوّل لها تصوير المعنى خير أداء، وبأقوى المشاهد التي توحي بالكبر والخيلاء. ثم لماذا استعمل (إذا) بدل (إن) الشرطية؟

يعلل محمد بن علي الجرجاني هذا الاختيار في استعمال (إذا) الشرطية بدل(إن) أنّه: " إذا كان السبب راجح الوقوع في اعتقاد المتكلم استعمل (إذا)، أمّا إذا كان السبب مشكوكا فيه أو مرجوحا استعمل(إن)"،[178] وهو في الآية سبب راجح بلا شك.

والنأي بالنّفس عند كثرة النعم مدعاة للكبر والخيلاء، هذا أن الله -تبارك وتعالى- يريد " أن تشيع الكلمة المهذبة والعبارة الموحية التي يفهم من ضم ألفاظها بعضها إلى جانب بعض من غير شعور بحرج وجرح للحياء، عن طريق الأسلوب الكنائي، ففيه التهذيب والتأديب وحسن المأخذ وما يرتفع بمستوى اللفظ وسمو الكلمة لعطائها المعنى المراد في صورة راقية ".[179]

---

[177]. ينظر، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، (د ط)، (د تا)،ج25، ص:4.

[178]. ينظر، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد الجرجاني، ص:63.

[179]. الكناية والتعريض، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تح: عائشة حسين فريد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، (د ط)، 1998م، ص:43.

المقدمة 1: نئا بجانبه =النتيجة: التكبر والخيلاء.

حجج مكثفة المقدمة 2: الابتعاد =

المقدمة 3: الإعراض =

ومايثير التساؤل هنا: لماذا استخدم مثل هذا الطريق من الطرق في تأدية المعنى دون غيره، أو حقيقة معناه الذي يعتبر أصل مراد الكلام؟

إنّ فكرة تصوير (البخيل والمسرف، وشديد النّدم، والمتكبر المختال) جاءت نتيجة لإثارة الانتباه إلى هذه السلوكات عن طريق التلميح، وليس لهذه النتيجة أن تكون مقنعة مثيرة لو لم تعزز بالأسلوب الفنّي الجمالي وبالحجج كوسيطين لا يصل العقل منه إلى المراد إلا بالانتقالات (اللوازم) لخفائها على النّفوس، و" هي لوازم كثيرة محتملة إلا أنها لا تتساوى في الوضوح بل مرتبة من الخفي إلى الأقل خفاء إلى الواضح فالأوضح وما بينهما من درجات".[180] وتأخذ هذه المعاني (الوسائط) مراتب من حيث الخفاء والوضوح في السلّم الحجاجي كالآتي:

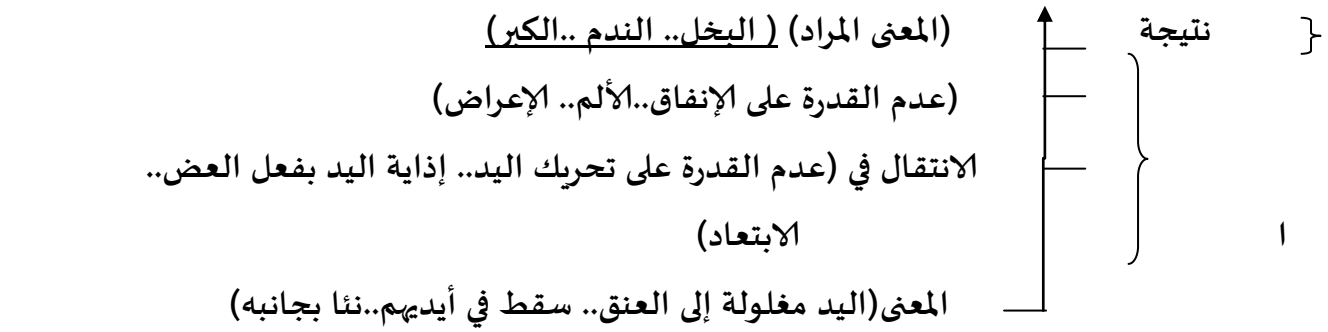

وتكون دلالة الالتزام واضحة بحسب المراتب التالية:[181]

1. كون اللزوم ذهنيا بيّنا في العقول (ما يسمى بالاستدلال الذهني أو الانتقال).
2. قلة الوسائط مع ضميمة الاستعمال العربي.
3. قلة الوسائط مع ضميمة ظهور القرينة جدّا حتى كأنّها المشهود.

[180]. الاستدلال البلاغي، شكري مبخوت، ص:111.

[181]. المرجع نفسه، ص:112.

4. قد يكون الوضوح مع كثرة الوسائط عند الضميمة كثرة الاستعمال.

5. كثرة الوسائط المحوجة لمزيد التأمّل وذلك لقلة الاستعمال.

إنّ استخدام الصورة الكنائية تأخذ طابعا ذا سعة في المعنى، وهي تقوم كما " يرى النّقاد الغربيون على اعتماد الترابط المجاوري وهو خاصية العلاقات المجازية المرسلة(...) وهو تجاوز داخل المجموعة ".[182] وهي في ذلك عبارة عن علاقات تنبع من معادلات الاستلزام المنطقي الذي يوجب الإبقاء على حكم أو معنى أوحد هو المراد، ومع هذا فـ " علاقة المجاورة التي تتسم بها الكناية لا يمكن أن تمتد إلى ما لا نهاية ولا تتنوع إلا بنسب بالغة الحصر"[183]، وهي في هذا " أحلى موقعا من التصريح(...) ذلك هو أن التصريح إنّما هو الدلالة على الشيء باسمه الموضوع له بالتواطئ*(...) وفي التخييل بذلك كذلك ما فيه من بسط النّفس وإطرابها للإلذاذ والاستفزاز الذي في التخييل ".[184]

ولأسلوب الكناية مجموعة من الخصائص العامّة يمكن إجمالها فيما يلي:[185]

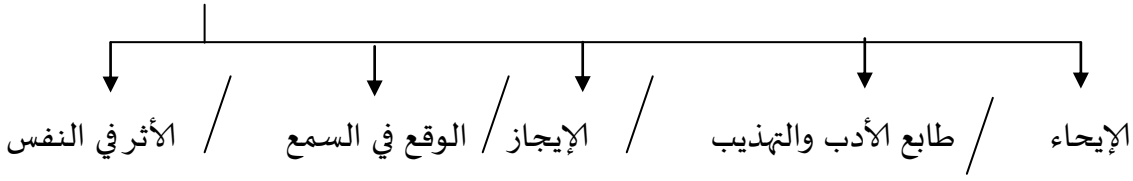

[182]. البلاغــة مدخل إلى الصور البيانيــة، فرانسوا مورو، تر: محمد الولي وعائشة جرير، إفريقيا الشرق، المغرب، 2003م، ص:63.

[183]. البلاغــة مدخل إلى الصور البيانيــة، فرانسوا مورو، تر: محمد الولي وعائشة جرير، ص:64.

* ورد بهذا الرسم الإملائي في متن الكتاب.

[184]. المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، السجلماسي، ص:244.

[185]. ينظر، التعبير الفني في القرآن، بكري الشيخ أمين، ص:207.

كما يمكن أن نظهر بلاغة الكناية فيما يلي:[186]

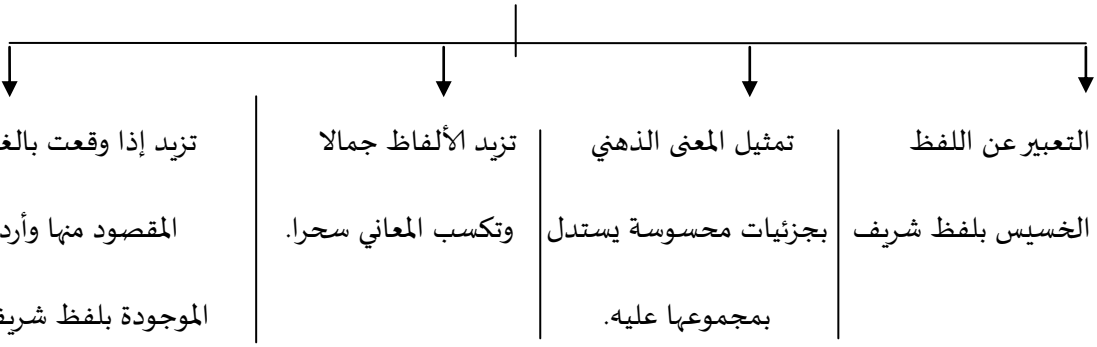

وإن قيل: فما الفائدة والمزية من استخدام أسلوب التصويـــر البياني بدل الحقيقة؟ والمجاز بالذات بدل غيره من أساليب التصوير الباقية، أو الكناية بدل الاستعارة..؟

أقول: إنّ ذلك حتما سيفقد التركيب عناصر مهمة ومؤثرة في البناء الفني، من غرابة في المعنى، ومن تشويق ومتعةِ انتقالٍ بالذهن من معنى لآخر، مع ما تهبه للمتلقي من إمكانية توليد المعاني، وهذا كلّه –بالطبع- يزيد من قيمة المعنى بيانيا، ويرفع من درجة سلمه الجمالي وطاقته التأثيرية الإقناعية؛ وإن كانت الحقيقة أحيانا تكون مقدمة على التصوير البلاغي في بعض المناسبات توافقا مع مقتضى الحال.

أمّا المزية في استخدام صورة بدل أخرى، فلا ريب أنّ كل صورة تفيد معنى لا تفيده غيرها، كما تتيح إمكانات جمالية وإقناعية دون غيرها في هذا المقام بالذات.

ولا يسعنا في نهاية هذا الفصل إلاّ أن نبرز العلاقة التلازمية القائمة بين الصورة والحقيقة، وهي علاقة تتحدد بالخصوص في طرق الاستدلال التي تقوم عليها الصور البيانية على اختلافها، وهي علاقات استدلالية كثيرة قوامها الضمنيات؛ وهي انتقالات مرنة خفية في إطار الرابط التشابهي والتجاوري، تجمع النتيجة مع حججها في صورة بلاغية فنية واحدة لا تكاد تنفك عن نظيراتها في الذهن، " والحق أن عامة أنواع التشبيه والمجاز والكناية شيء واحد. وهي المزية التي بها تمتاز الدلالة المركبـــة من الوضـــع والعقل، عن

[186]. ينظر، الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ج5، ص:179.

الدلالة الوضعية الصرفــة من ارتياح النّفس، وحسن موقع المعنى فيها، لكون الدلالة بسبب تصرفها ".[187]

وإليك الشكل البياني مبينا ذلك:

الصورة الفنية	التلازم بين الصورة والحقيقة
المجاز	يرجع إلى المنطق
التشبيه	يرجع إلى الارتباط بين المعنى المفرد ونظيره مقاربة بينهما
التمثيل	يرجع إلى الارتباط بين المعنى التركيبي ونظيره مقاربة بينهما
الاستعارة	يرجع إلى الارتباط بين المعنى ونظيره مطابقة بينهما
الكناية	يرجع إلى عرف أو عادة ثقافية واجتماعية

مما أوضحته يمكن القول أن الصورة البلاغية استطاعت أن تمتلك القدرة على الإمتاع والإقناع من خلال محتواها، ودلالتها، وسعة أفقها التخييلي، الذي ينبني في مجمله على أصول الصناعة الفنّية التي بدورها تشكّلها تشكيلا أسلوبيا متمــيزا، ولعل تلك الميزة هي ما جعلت بلاغــة الصـورة تزاوج بين الحيّزين، حيّز الإمتاع وحيّز الإقناع من خلال رسم أفق جديد، وملمح مغاير في طرق تأدية المعنى، بلغ درجة عالية في الجمالية، ومكانة سامية من حيث التأثير، فالتصوير البياني في الكلاملطالماامتلكتلك المزيّة التي تزاوج بين الجمالي الذي يلامس الوجدان، والتأثيري الذي يخاطب الفكر، مع عدم إغفال مقتضى الحال الذي تقوم عليه البلاغة

[187]. الإشارات والتنبهات في علم البلاغة، محمد بن علي الجرجاني، ص:152.

المحاضرة الثانية عشر

المطابقة والمقابلة(وبعض من الألوان البديعية الأخرى)

أوّلا:أسلوب المطابقة:

1. مفهوم المطابقة:

1.1. في اللغة:جاء في لسان العرب: " طبَقُ كل شيء: ما ساواه... وقد طابقَه مطابقة وطِباقًا: وتطابَقَ الشيئان: تساوَيا. والمطابقة: الموافقة. والتطابق: الاتفاق".[188]

2.1. في **الاصطلاح**: يرى الباقلاني: أنّ معنى المطابقة أن يذكر الشيء وضدّه، كالليل والنّهار، والسواد والبياض،وهو مفهوم أكثر البلاغيين ، كالفراهيدي، والأصمعي، ويقدّم مفهوما آخر لطائفة أخرى من البلاغيين، كأمثال قدامة بن جعفر، فيرى أنّ المطابقة: أن يشترك معنيان بلفظة واحدة.[189]

2. **أحوال التي تأتي عليها المطابقة**:

تأتي المطابقة، اسمين أو فعلين أو حرفين، أو مختفلين:

أ. بين الاسمين: {وتَحْسَبُهم أيقاظا وهمْ رُقود} [الكهف18]، المطابقة بين الاسمين (أيقاظا)و(رقودا).

ب. بين الفعلين: { تُعِزُّ من تشاءُ وتُذِّلُ من تشاء} [آل عمران26]، المطابقة بين الفعلين (تعز)و(تذل).

ج. بين الحرفين: { لها ما كسَبَت وعليها ما اكتَسَبَت} [البقرة286]، المطابقة بين الحرفين (ماكسبت)و(ما اكتسبت).

د. بين المختلفين:{ أوَ من كانَ مَيْتًا فَاَحييناهُ} [الأنعام122]، المطابقة بين المختلفين (ميتا) ويعنى ضالا، و(أحييناه) التي بمعنى هديناه.

---

[188]. لسان العرب، ابن منظور، مج10، ص:209.

[189]. ينظر، إعجاز القرآن، الباقلاني، ص:122،123.

والمطابقة تأتي بالسلب والإيجاب، كقوله تعالى: { فلا تَخْشَوا النّاسَ وَاخْشَون} [المائدة44]، فالمطابقة جاءت بين معنيين مختلفين، الأول سالب (لا تخشوا) والثاني موجب (اخشون).[190]

ثانيا: المقابلة:

2. مفهوم المقابلة:

1.2. في اللغة:جاء في معجم لسان العرب: " المُقابلة: المُواجهة، والتقابل مثله".[191] يقال: قابلت فلانا أي واجهته؛ وجها لوجه.

2.2. في الاصطلاح: المقابلة - كما ذكر الشريف الجرجاني-:" أن يؤتى بمعنيين أو معاني متوافقة، ثم يأتي بما يقابلهما او يقابلها على الترتيب".[192]

ويعرّفها الهاشمي : "أن يأتي بمعنيين متوافقين أو أكثر، ثم يأتي بما يقابل ذلك على الترتيب".[193]وتأتي المقابلة:

_ ثنائية: أن يكون التركيب ثنائي، كقوله تعالى: {فلْيضحكوا قليلًا وليَبْكوا كثيرًا} [التوبة82]، فالمقابلة هنا بين ثنائي اللفظ،(يضحكوا قليلا)و (يبكوا كثيرا).

_ ثلاثي: أن يكون التركيب ثلاثي اللفظ، كقول أبي دلامة:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

المطابقة بين ثلاثي اللفظ (أحسن، الدين ، الدنيا) و(أقبح، الكفر، الإفلاس).

_ رباعية: أن يكون التركيب رباعي اللفظ، كقوله تعالى: { فأمّا من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى فسنيسّره لليسرى. وأمّا من بخل واستغنى وكذّب بالحسنى فسنيسّره للعسرى} [الليل5-10]، المطابقة جاءت هنا بين رباعي اللفظ (أعطى، اتقى، صدق بالحسنى، لليسرى) و(بخل، استغنى، كذّب بالحسنى، للعسرى).

---

[190]. ينظر، الإشارات والتنبيهات، الجرجاني، ص:235 وما بعدها.

[191]. لسان العرب، ابن منظور، مج11، ص:540.

[192]. ينظر، الإشارات والتنبيهات، ص:235 وما بعدها.

[193]. جواهر البلاغة، الهاشمي، ص:304.

_ خماسية: أن تكون المطابقة بين خمسة ألفاظ، كقول أبي الطيّب:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثني وبياض الصبح يُغري بي

المطابقة جاءت بين خماسي الألفاظ (أزورهم، سواد، الليل، يشفع، لي)و (أنثني، بياض، الصبح، يغري، بي).[194]

ثالثا: الأسلوب الحكيم:

هو تلقي المخاطَب بغير ما يترقبه، إمّا بترك سؤاله، والغجابة عن سؤال لم يسأله، وإمّا بحمل كلامه على غيرماكان بقصد إشارة منه انّه كان ينبغي له ان يسأل هو السؤال، كقوله تعالى: { يسألونك ماذا ينفقون، قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل} [البقرة215]. سالوا عن حقيقة ما ينفقون فأجيبوا ببيان طرق الغنفاق، تنبيها علىأنّ هذا هو الأجدر بالسؤال عنه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الأَهِلّة، قل هي مواقيت للنّاس والحج﴾ [البقرة189].

فسؤالهم كان عن حقيقة لم تبدو الأهلة صغيرة، ثم تزداد حتى يتكامل نورها، ثم تتضاءل حتى لا ترى؟ وهذه مسألة دقيقة في علم الفلك، تحتاج إلى ثقافة عامة، فصرفهم عنها ببيان أنّ الأهلة وسائل للتوقيت في المعاملات والعبادات، إشارة إلى انّ الاولى بهم أن يسألوا عن هذا.. وهنا لطيفة: أنّه لا بد من السؤال على حسب ما يمكن ان يقبله العقل، فلاعرب لا يعرفوا منطق الفلك حتى يعقلوه إن أجيبوا به.

رابعا: تجاهل العارف:

هو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلا منه لنكتة كالتوبيخ أو التأدب أو غيرها، كقول أحدنا لصاحبه يخاطبه وهو يريد تكذيبه في خبر له، على كل حال، فأحدنا كاذب، ويعني صاحبه، فقد حاول المتكلم هنا عدم مواجهة المخاطب بما ينكره من القول، وهو

[194]. ينظر، الإشارات والتنبيهات، الجرجاني، ص:238 وما بعدها.

قصد عال من الناحية الخلقية. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وإنّآ أو إيَّاكُم لعلى هدًى أو في ضلالٍ مُبين﴾ [سبأ24].

وهنا تحضرنا لطيفة، فقوله [لعلى هدى] يقابلها [في ضلال مبين]، تعطي انطباعا أنّ المهدي راكب على فرس الهدى يتنقل به حيث شاء في فضاء الحرية، أمّا الضلال فنستشعر منه أنّ الضالّ محصور في غياهب سرداب الضلال، محبوس فيه لا حرية حركة له، فهو أسير في انحرافه وجهله بالحق.

أحبّ محمدا حبّا شديدا وعبّاسا وحمزة والوصيّا

بني عمّ النبيّ وأقرَبَيه أحبّ النّاس كلّهم إليّا

فإن يك حبّهم رشدا أصبه ولست بمخطئ إن كان غيا

خامسا: المواربة:

هو التشابه فقي الخط بين كلمتين فأكثر، بحيث لو أزيل او غيرّ نقطة كلمة كانت عين ثانية، نحو التخلي ، التجلي، التحلّي.[195] كقول الشاعر:

لقد ضاع شعري على بابكم كما ضاع عقد على صدر خالصة

أي (لقد ضاء)، وهنا جعل المتكلم كلامه بحيث يمكنه أن يغيّر معناه بتحريف أو تصحيف، ليسلم من المؤاخذة.

سادسا:تأكيد المدح بما يشبه الذمّ:

أن يؤتى بكلام يوحي للسامع أنّه ذمّ، لكنّه في حقيق الأمر هو مدح، ويأتي كالآتي:

_ أن يستثني من صفة ذم منفية، صفة مدح على تقدير دخولها فيه، كقول الشاعر:

[195]* ويطلق عليها – أيضا- التصحيف.

ولاعيب فيهم غير أنّ سيوفهم بهنّ فلول من قِراع الكتائب

_ أن يثت لشيء صفة مدح، ويؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى مستثناة من مثلها، كقوله:

فتى كملت أوصافه غير انّه جواد فما يبقى من المال باقيا

ثامنا: تأكيد الذم بما يشبه المدح:

أن يؤتى بكلام يوحي للسامع أنّه مدح، لكنّه في حقيق الأمر هو ذمّ،ويأتي كالآتي:

_ أن يستثني من صفة مدح منفية، صفة ذم على تقدير دخولها فيها، فلان لا خير فيه إلاّ أنّه يتصدق بما يسرق.

أبو جعفر رجل عالم بما يصلح المَعْدة الفاسده

تخوّف تُخمة أضيافه فعوّدهم أكلة واحده

_ أن يثبت لشيء صفة ذم يؤتبعدها بأداة استثناء، تليها صفة ذم أخرى.

هو الكلب إلاّ أنّ فيه ملالة وسوء مراعاة وما ذاك في الكلب

المحاضرة الثالثة عشر:

السجع والجناس

أوّلًا:أسلوب السجع:

- **توطئة:**

يعتبر أسلوب السجع من بين الأساليب البلاغية البديعية التي تعمل على تحسين الكلام، وقد عرف عند العرب قديما في إنشائياتهم وبلاغتهم، فسمّي نوع من أنواع النثر بسجع الكهّان، والسجع طريقة في نظم الكلام تسهم آثار صنعته، في استمالة النفس حوله، وإصغاء الأذن إليه.

1. **مفهوم السجع:**

1.1. في **اللغة**: جاء في معجم لسان العرب: "سَجَعَ يَسْجُعُ سَجْعا: استوى واستقام وأشبه بعضه بعضا... والسجعُ: الكلام المُقفّى، والجمع أسجاع وأساجيع".[196]

2.1. في **الاصطلاح**، فهو بمعنى " توافق فاصلتين من النثر على حرف واحد في آخرهما".[197] وأفضل السجع ما تساوت فِقره.

2. **مزايا السجع:**

أ. تأثيره في النّفس.

أ. قدرته على حفظ الكلام واختزانه في الذاكرة بسهولة.

[196]. لسان العرب، ابن منظور، مج8، ص:150.

[197]. دراسات في البلاغة العربية، عبد العاطي غريب علّام، منشورات جامعة بن غازي، ط1، 1997، ص:216.

3.أقسام السَّجْع:

تمّ تقسيم السَّجَع عندالبلاغيين وفقاً لعاملين،وهماالوزن العروضيّ، وطُول الجُملة التي تحتوي ألفاظ السَّجْع، وفيمايلي تفصيل لذلك:

أ. السجع المُطَرَّف: وهو ما اختلفت فاصلتاه (آخر كلمتين في الفقرات) في الوزن واتفقتا في القافية (الحرف الأخير)،وعندئذٍلا يُنْظَرُ إلى ماقبلهما في الاتفاق أوالاختلاف،وفيمايلي مثال للتوضيح، كقوله تعالى: ﴿ ألم نجعل الأرْضَ مهادًا والجبال أوتادًا﴾ [النبأ 6-7]، والسجع المطرّف جاء بين الكلمتين (مِهادًا، أوتادًا)، وهما متفقتان في القافية (الدال)، ومختلفتان في الوزن، فكلمة (مِهادًا) على وزن فِعالا، وكلمة (أوتادًا) على وزن أفعالا.[198]

ب. السَّجْع المُرصَّع: أومايُعرَف بالترصيع،في هذاالنوع من السَّجْع تكون فيه ألفاظ إحدى الفقرتين كلّها او أكثرها مثل ما يقابلها من الفقرة الأخرى المتقابلة، على توافق في الوزن والقافية،ويُقصد بذلك أن تنتهي الجملتان أوالجمل على حرف واحد، وأن تقابلك لكلمة في الجملة الأولى (أوأكثرالكلمات)،كلمة في الجملة الأخرى على وزنها ورويّها، وفيمايلي مِثال للتوضيح: كقول الحريري: هو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه.[199]

ج. السجع المتوازي: وهو ما كان الاتفاق في الكلمتين الأخيرتين فقط، كقوله تعالى: {والمُرسلاتِ عُرْفًا فالعاصِفات عَصْفًا} [المرسلات1.2]اختلاف المرسلات والعاصفات وزنا فقط.

4. ما يحسن السجع به:

أ. تساوي فِقره.

[198]. ينظر، جواهر البلاغة، الهاشمي، ص:330.

[199]. ينظر، المرجع نفسه، ص:331.

ب. رشاقة مفرداته.

ت. أن تدلّ القرينة على معنى غير ما دلّت عليه الأخرى.

ث. خلوه من التكلّف والتصنّع.

ملاحظة: _ يأتي السجع أكثره في النثر، لكن هذا لا يمنع مجيئه في الشعر.

_ لا يكون السجع إلّا في جملتين أو أكثر، فإذا توافقت كلمتين في جملة واحدة فلا يسمّى سجعا، كقول الزمخشري: ويل للمساكين من المسّاكين".[200]

ثانيًا: أسلوب الجناس:

- **توطئة:**

يعتبر أسلوب الجِناس من أقدم المباحث البلاغية التي صنّف فيها اللغويون كتبا، فقد ألّف فيه الأصمعي كتابا سمّاه (الأجناس)، وصنّف فيه أبو عبيد القاسم بن سلّام كتاب (الأجناس من كلام العرب وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى)، ذكر فيه الألفاظ المتّفقة في الشكل المختلفة في المعنى.

كما بحث عبد الله بن المعتز في الباب الثاني من كتابه (البديع) التجنيس وحدّه لغة واصطلاحا وأورد له شواهد ثمّ تلقّفه المؤلفون في علم البديع فافرطوا في أنواعه وتفريعاته.[201]

ويعتبر أسلوب الجناس محسنا صوتيا لفظيا، إلّا أننا لا ننفي عنه وظيفتهالصوتية في خدمة البناء الفنّي للتركيب، والمعنوية في البناء الدلالي.

1. **مفهوم الجناس:**

[200]. المرجع نفسه، ص:216.

[201]. البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب وحسن البصير، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ط2، 1999، ص:449..

1.1. في اللغة: جاء في لسان العرب: " الجِنْسُ الضرب من كلِّ شيءوهو من النّاس ومن الطير ومن حدود النّحو والعروض والأشياء جملة".[202]

2.1. في الاصطلاح: يُعد الجِناس عند جمهور البلاغيين محسن بديعي لفظي يكون عند "هو تشابه كلمتين في النطق واختلافهما في المعنى".[203] وكثر استخدامه في الأدب العربي وعلى وجه الخصوص الشعر.

2. **أقسام الجناس:** ينقسم أسلوب الجناس إلى قسمين:

1.2. الجناس اللّفظي أو الجناس التام: الجناس التّام، هو ما اتفق طرفاه في أربعة أمور:

_ جنس الحروف، عدد الحروف، ضبط الحروف، ترتيب الحروف، نحو قوله تعالى: ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة﴾ [الروم55]. فلفظة (الساعة) الأولى معناها يوم القيامة، ولفظ (الساعة) الثانية معناها وحدة قياس الزمن، واللّفظتان متّفقتان في أنواع الحروف، وفي عدد الحروف، وهيئاتها (ضبط حروفها)، وفي ترتيبها.[204]

وكقول الشاعر:

فدارِهم ما دمت في دارهم وأرضِهم ما دمت في أرضِهم

فلفظة (دارهم) الأولى معناها المداراة، ولفظ (دارهم) الثانية معناها ما يسكن من البيوت، ولفظة (أرضهم) معناها إظهار الرضا، واللفظة الثانية (أرضهم) معناها الأرض التي نسكنها، واللّفظتان متّفقتان في أنواع الحروف، وفي عدد الحروف، وهيئاتها (ضبط حروفها)، وفي ترتيبها.وهذا النوع من الجِناس يسمّى جناسا تاما، قد اتفق اللّفظان في نوع جنس الحروف، وحركاتها، وترتيبها.

[202]. لسان العرب، ابن منظور، مج6، ص:43.

[203]. البلاغة الاصطلاحية، عبد العزيز قلقيلة، ص:236.

[204]. ينظر، البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب، ص:451.

1.1.2. **أضرب الجناس:** الجناس التّام ثلاثة أضرب:

_ الجناس المماثل: هو أن تكون الكلمتين اسمين أو فعلين أو حرفين:

فالاسمان كقوله تعالى: { فرَوْحٌ ورَيْحان} [الرحمن]، وكقوله صلى الله عليه وسلم: "الظلم ظلمات يوم القيامة". والجناس في (ظلم) و (ظلمات) فهما اسمان لكن الأول معناه (الجور وعدم العدل) والثاني معناه (الظلام).

والفعلان كقول أبي محمد الخازن:

قوم لو أنّهم ارتاضوا لما قرضوا أو أنّهم شعروا بالنقص ما شعروا

والجناس في (شعروا) وما (شعروا)، فهما فعلان ماضيان لكن الأول معناه (أحسّوا) والثاني معناه (نظموا الشعر).

والحرفان كقول بعضهم: " قد ينزل المطر شتاء وقد ينزل صيفا". والجناس في حرفي المعنى (قد، وقد)، فالاولى تعني (التكثير) والثانية تعني (التقليل).

_ الجناس المستوفي: هو أن تكون الكلمتين مختلفتين إحداهما اسما والأخرى فعلا، أو إحداهما حرفا والأخرى اسما او فعلا.

فبين الاسم والفعل، كقول أبي تمام:

ما مات من كرم الزمان فإنّه يحيا لدى يحيى بن عبد الله

فالجناس بين الكلمتين (يحيا) من الفعل حياة، و(يحيى) اسم علم.

وبين فعل وحرف، كقول الشاعر:

علا نجمه في عالم الشعر فجاة على أنّه مازال في الشعر شاديا

والجناس في الكلمتين (علا) من الفعل العلو، و(على) حرف جر.

_ الجناس المركب: هو ما كان أحد طرفيه مفردا والآخر مركبا، كقول الحريري:

والمكر مهما استطعت لا تأته لتقتني السؤدد والمكرمه

والجناس بين (المكر) مضافا إليه الميم والهاء من (مهما) وكلمة (مكرمه)، وهو ضرب من أنواع ضروب الجناس التام المرفو.

وكقول أبي الفتح البستي:

إذا ملك لم يكن ذا هبة فدعه فدولته ذاهبه

والجناس بين (ذا) بمعنى صاحب مضافا إليه (هبة) أي عطيّة وكلمة (ذاهبه)، اسم فاعل بمعنى الذهاب أي الزوال، وهو ضرب من أنواع ضروب الجناس التام المتشابه.

وكقول بهاء الدين السبكي:

كن كيف شئت عن الهوى لا أنتهي حتى تعود لي الحياة وأنت هي

والجناس بين (أنتهي) وهو فعل مضارع، وكلمة (أنت، هي) مفترقتان، الأولى مبتدأ،والثانية خبر، وهما مختلفتان خطا، ومتفقتان نطقا، وهو ضرب من أنواع ضروب الجناس التام المفروق.[205]

2.2. الجناس غير التّام: هو ما اختل فيه أحد هذه الشروط الأربعة، كقوله تعالى: { فأمّا اليتيم فلا تقهر وأمّا السائل فلا تنهر} [الضحى9]، وأنت تشاهد هذا المثال تجد اللفظين (تقهر، تنهر) يماثلان بعضهما البعض، في عدد الحروف، وترتيب الحروف، ويختلفان في ضبط الحروف وجنسها.

ومن الأمثلة . أيضا . قول الشاعر أحمد شوقي :

[205]. ينظر، البلاغة الاصطلاحية، ص336-341. وينظر، البديع في نقد الشعر، أسامة بن المنقذ، تح:أحمد بدوي، شركة ومطبعة مصطفى بابي وأولاده، مصر، د ط، 1960، ص:14.

اختلاف النهار والليل ينسيا ذكرا لي الصبا وأيام أنسي

ومنه قول الشاعر:

أشكو وأشكر فعله فاعجب لشاكٍ منه شاكر

فاللّفظان(أشكو _ أشكر) يماثلان بعضهما البعض، في عدد الحروف، وترتيب الحروف، ويختلفان في نوع الحروف.

المحاضرة الرابعة عشر

أسلوب القصر

1. مفهوم القصر:

1.1. في **اللّغة**: يأتي لفظ القصر في لسان العرب خلاف المدّ، وأقصر فلان عن الشيء يقصر إقصارا إذا كفّ وانتهى. والقصر: الحبس، وفي حديث أسماء الأشهلية: إنّا، معشر النّساء، محصورات مقصورات[206] أي محبوسات.

1.2. في **الاصطلاح** أسلوب القصر هو:" تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص".[207] أي كتخصيص المسند بالمسند إليه، كقوله تعالى: {وما محمّدٌ إلّا رسولٌ قد خلت من قبله الرّسُل}. فخصّصنا محمّدا (مبتدأ) صلى الله عليه وسلّم بصفة الرسالة الربانية.

2.أركان أسلوب القصر:

يتكوّن أسلوب القصر من ثلاثة أركان: مقصور، ومقصور عليه، وأداة القصر. نحو قوله تعالى: {وما محمد إلّا رسول قد خلت من قبله الرّسل}. هنا خصّصت محمدا بالرسالة، وقصرته على هذه صفة.

_ محمد: مقصور.

---

[206]. ينظر، لسان العرب، ج5، ص96-98.

[207]. الكافي في علوم البلاغة(المعاني، البيان، البديع)، عيسى علي الكاعوب و علي سعد الشتيوي، منشورات الجامعة المفتوحة، 1993، ص231.

_ رسول: مقصور عليه.

_ الطريق المخصوص: ما " للنفي" إلّا " للاستثناء".

3. طرق القصر: ركز البلاغيون على طرق أربع:

_ النفي والاستثناء: نحو: ما محمد إلاّ رسول. (ما): نافية. (إلّا): إستثناء.

_ إنّما، نحو: {إنّما ولي الله}.

_ العطف ب"لا" و"لكن" و"بل"، نحو: محمد أمين لا غير محمد. ما مسيلمة الكذّاب رسول بل محمد. ما فلان شجاع لكن خالد.

_ تقديم ما حقّه التأخير، نحو قوله تعالى: ﴿ إيّاك نعبد وإياك نستعين﴾، قصرنا وخصّصنا العبادة لله دون غيره، بطريق تقديم الضمير المنفصل "إيا" وحرف الخطاب "ك"، ولو قلنا نعبد إيّاك، لتوهّم السامع عبادة غير الله، لجواز العطف بالواو.[208]

فقوله: إياك نعبد وفلانا وعلانا، لا يصح في كلام العرب. لكن قد يصحّ قوله: نعبد إيّاك وفلانا وعلانا. ولهذا قصر العبادة لله لاستحقاقها له وحده دون غيره، ولكي لا يتوهّم السامع والقارئ غير هذا المعنى المراد من السياق.

[208]. ينظر، الكافي في علوم البلاغة، ص:234-236.

ولا شكّ أنّ أسلوب القصر يأتي ليساهم في تشكيل البنية الفنية والجمالية للتركيب، مع ما يرمي إليه من أغرض بلاغية تستقى من سياق الكلام، عن طريق القرينة اللفظية كانت أو الحالية أو العقلية.

المحاضرة الخامسة عشر

التورية:

1. مفهوم التورية:

1.1. في **اللّغة**: جاءت في معجم لسان العرب مادة ورى، بمعاني متعدّدة، منها: أخفى أو ستر. يقال: وريت الشيء أخفيته عن الأنظار. والتورية: الإخفاء والكتمان مع إظهار شيء آخر. يقال: ورى كلامه إذا أظهر معنى قريبا وأخفى معنى بعيدا.[209]

1.2. في **الاصطلاح**،هي أن تحمل كلمة أو جملة معنيين أحدهما أقرب إلى الذهن لكنّه غير مقصود، والثاني بعيد إذ أنه المقصود. لغرض بلاغي هو المعنى المقصود يكون الوصول إليه بقرينة دالّة، وإذا عدنا بمفهومها عند البلاغيين فالتورية عند الشريف الجرجاني: "هي أن يراد من لفظ له معنيان: أبعدهما".[210] وهو في تصوّرالبلاغيين كابن الأثير (ت:637هـ)، وغيره وصولا إلّا السكاكي (ت:626هـ): أن يطلق لفظ له معنيان، قريب وبعيدّ، فيذكرليفيد المعنى البعيد مع إمكان إرادة القريب.[211]

وما يمكن قولهأنّ أصل التورية هو الاعتماد على لفظ ذي معنيين: لفظ قريب ظاهر يفهم بسهولة، ولفظ بعيد خفي وهو المراد المقصود من الكلام، بقرينة دالة.

وتعتبر التورية من الأساليب البديعية المعنوية، التي لها تأثيرها على البنية الفنية والجمالية للتركيب، كما لها مساهمتها في انسجام نسق المعنى الكلّي للكلام.

---

[209]. ينظر، لسان العرب، ابن منظور، مج15، ص:389.

[210]. الإشارات والتنبيهات، الشريف الجرجاني، ص:247.

[211]. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي، ج2، ص:243.

2. أقسام التورية:

1.2. التورية المجرّدة: وهي تورية لا تجامع شيئا ممّا يلائم القريب المورى به. [212] أي أن يكون المعنى لا يلائم معناه القريب أو البعيد، بحي ثيحمل معنى ظاهرا ومخفيا معا، ومن أمثله التورية المجرّدة قول الشاعر:

وما زلت أنسى حاجتي بعد حاجتي إذا قيل يوما إنّك الشخص واحدُ*

المعنى القريب: أنّك الشخص الوحيد، وهو ظاهر المعنى.

المعنى البعيد: واحدُ كاسم من أسماء الله الحسنى، أي لا يشاركه أحد.

2.2. التورية المرشّحة: وهي تورية قرنت بما يلائم المورى به، إمّا قبله أو بعده.[213]أي ما يلائم المعنى البعيد، مما يجعل المعنى أكثر وضوحا،ومن أمثله التورية المرشّحة قول الشاعر:

سألت العين عن دمع جرى منها فقالت: هذا أسير قُيِّدَ الجفن

المعنى القريب: الشخص المحبوس.

المعنى البعيد: العاشق، الذي يناسب حالة الدموع والحب.

3. نماذج تطبيقية:

المثال الأول: قصة إبراهيم مع قومه: قال تعالى: ﴿فنظر نظرة في النُّجوم فقال إنّي سقيم﴾. [صافات:88،89].

المعنى القريب (الظاهر): مرض أصابه.

---

[212]. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي، ج2، ص:243.

* البيت الشعر ينسب للحسين بن عبد الصمد الحارثي الهمذاني.

[213]. المصدر نفسه، ج2، ص:243.

المعنى البعيد (خفي): تألّه نفسيا وروحيا من شرك قومه، تظاهره بالمرض لعدم مشاركتهم في عبادتهم الأصنام.

المثال الثاني: قصة يوسف مع إخوته: قال تعالى: ﴿قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل﴾ [يوسف:77].

المعنى القريب (الظاهر): سرقة إخوة يوسف بالفعل.

المعنى البعيد (خفي): اتهامهم بالسرقة كجزء من خطة يوسف في اسعادة أبيه وأهله.

المثال الثالث: خطاب لقمان: قال تعالى: ﴿يا بنيّ إنّها إن تكُ مثقال حبّة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله ﴾ [لقمان:16].

المعنى القريب (الظاهر): تصوير عظمة الله.

المعنى البعيد (خفي): ترسيخ الإيمان بقدرة الله وعلمه الواسع.

المثال الرابع: قوله تعالى: بنيناها بأيد وإنّا لموسعون. [الذاريات:47].

المعنى القريب (الظاهر): إظهار قوة الله.

المعنى البعيد (خفي): قدرة الله على خلق كلّ شيء والتصرف فيه بمشيئته.

ملاحظة: التورية في القرآن على عكس كلام العرب، ليست مجرد زخرفة بلاغية، بل تحمل معان قيمية سامية تختلف باختلاف سياقات مقتضى الحال، منها ما يكون لغرض التوجيه، أو الإيضاح، ومنها مايكون من أجل استمالة القارئ لتدبّر المعنى العميق للخطاب.

- **الخاتمة:**

امتلكت البلاغة حضورها التاريخي الطويل للغاية، فقد كانت تهدف إلى الكشف عن الخصائص التي تجعل من الشعر شعراً ومن النثر نثراً. ومصطلح البلاغة اعتبر قديما في منظومة الفكر النّقدي العربي، قديم من حيث الدراسة والبحث، والمنهج والأدوات، فقد كثر التعامل مع هذا المصطلح، كما أنّ نظرية البلاغة - أيضا –قد اخذت حظّها في الفكر النّقدي العربي الحديث من حيث المنهج والوسائل، ومن حيث الموضوع والغاية.

وجوهر بلاغة الكلام في رأي النّقاد العرب هو الذي يحدّد فرادة العمل الأدبي، ويُمَيز طريقة كل أديب عن آخر، ضمن بنية كلّية، تجتمعفيها شبكة المكوّنات العلائقية، إذ لا مزيّة للكلمة بالمفردة، ولا قيمة إلّا باتحادها مع غيرها في نسيج لغوي مفيد، كما أنّ لا قيمة جمالية للّغة إلّا حينما تتجاوز موضعها الحقيقي، إلى استعمال مجازي جديد.

- قائمة المصادر والمراجع:

1. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار مصر للطباعة، الفجالة - مصر، (د ط)، (د تا).

2. أساس البلاغة، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ضبط وشرح: محمد نبيل طريفي، دار صادر،بيروت- لبنان، ط1، 2009م.

3. الاستدلال البلاغي، شكري مبخوت، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بنغازي-ليبيا، ط2، 2010م.

4. أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تح: أبو فهر محمود محمد شاكر، شركة القدس للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، ط1، 1991م.

5.أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة محمد العمري، ، إفريقيا الشرق، المغرب، (د ط)، 2003م،

6.الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد بن علي بن محمد الجرجاني، تح: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب: علي حسن، ميدان أوبرا- مصر، طبعة جديدة، 1997م.

7. إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تح: سيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، (د ط)، (د تا).

8. إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص- سورية، ط7، 1999م.

9. الإيضاح في علوم البلاغة(المعاني والبيان والبديع)، جلال الدين أبو عبد الله محمد الخطيب القزويني، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2003م.

10. الأمثال في القرآن الكريم، محمد جابر الفياض، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، ط2، 1995م،

11. البحث الأسلوبي (معاصرة وتراث)، رجاء عيد، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، 1994.

12. البحث البلاغي عند العرب، أحمد مطلوب، منشورات دار الاحظ، بغداد، 1982،

12. بديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، تح:حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشروالتوزيع، 1952، [مقدّمة المحقق، ص:30].

13. البلاغة الاصطلاحية، عبده عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1992،

14. البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة- مصر، ط9، (د تا)،

15. البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (الحجاج) ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، عبد الله صولة، إعداد وتقديم:حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010م،

16. البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2010م.

17. البلاغـــة مدخل إلى الصور البيانيـــة، فرانسوا مورو، تر: محمد الولي وعائشة جرير، إفريقيا الشرق، المغرب، 2003م،

18. بلاغة النص التراثي (مقاربة بلاغية حجاجية-بلاغة رسالة المفاخرة-)، محمد مشبال،

19. البلاغة والأسلوبية (نحو نموذج سيميائي لتحليل النّص)، هنريش بليت، تر:محمد العمري،البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، ط7، 1997م، مج:1،

20. البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، 1994.

21. البلاغة الواضحة(البيان، المعاني، البديع)، علي الجارم، مصطفى أمين، دار المعارف، ماكميلان وشركاه، لبنان، 1999

22. البيان في ضوء أساليب القرآن الكريم، عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 2004م.

23. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسة للنشر، (د ط)، 1984م.

24. تربية الذوق البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، عبد العزيز عبد المعطي عرفة، دار الخلود للتراث، مصر، ط1، 1983م،

25. التعبير الفني في القرآن الكريم، بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت . لبنان، ط1، 1994م.

26. تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1993م.

27. تلخيص المفتاح، القزويني محمد بن عبد الرحمان، مكتبة البشرى، باكستان، ط1، 2010،

28. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الرمّاني، تح:محمد خلف الله، د.محمد زغلول سلام، دار المعارف، 1968،

_ الحجاج في البلاغة المعاصرة (بحث في بلاغة النقد المعاصر)، محمد الأمين الطلبة،

28. جواهر الأدب، أحمد الهاشمي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دت.

29. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيّد أحمد الهاشمي، شرح وتحقيق: حسن حمد، دار الجيل، بيروت، طبعة جديدة محققة، (د تا).

28. الحاشية على المطوّل(شرح تلخيص مفتاح العلوم في علوم البلاغة)، الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2007.

29._ خزانة الأدب وغاية الأرب، تقي الدين أبو بكر علي ابن حجة الحموي، شرح: عصام شعيتو، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، ط1، 1987م.

30. درَر الفَرائدِ المُستحْسنة في شرح مَنظومة ابن الشّحْنة (في علوم المعاني والبيان والبديع)، ابن عَبْدِ الحقّ العمريّ الطَّرابلسِيّ ، تح: سُلَيمان حُسَين العُمَيرا، دار ابن حزم، بيروت – لبنان،الطبعة: الأولى، 1439 هـ - 2018م.

31. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بمصر، دار المدني بجدة، ط3، 1992م.

32. الرسالة العذراء، ابن المدبر، ص: 48. نقلا عن أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسن، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط)، 1998م.

33. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، (د ط)، (د تا).

34. زهر الآداب وثمر الألباب، أبو إسحاق إبراهيم الحصري، تح:محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1999.

35. سرّ الفصاحة، أبو محمد عبد الله بن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1982م.

36. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط4، 1990م.

37. الصورة الأدبية في القرآن الكريم، صلاح الدين عبد التواب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة - مصر، ط1، 1995م.

38.العمدة (في محاسن الشعر وآدابه ونقده)، أبو علي الحسن ابن رشيق القيرواني، تح: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2001م.

39.فلسفة المجاز بين البلاغة العربية والفكر الحديث، لطفي عبد البديع، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، مصر، ط1، 1997م.

40. فنالشعر،أرسطو،شكريعياد،دارالكاتبالعربي،القاهرة، .1970

41.الفهرست لابن النديم، دار المعرفة، بيروت، د ط، د تا.

42. في نظرية الأدب، شكري عزيز ماضي، المؤسسة العربية، بيروت، 2005.

43.القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشيرازي،إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط8، (د ت).

44. الكافي في علوم البلاغة(المعاني، البيان، البديع)، عيسى علي الكاعوب و علي سعد الشتيوي، منشورات الجامعة المفتوحة، 1993.

45. الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس يزيد بن محمد المبرد، تح: عبد الحميد هنداوي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة السعودية، 1998م.

46.كتاب التعريفات، الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، طبعة جديدة 1985.

47. كتاب الصناعتين في (الكتابة والشعر)، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تح: علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1952م.

48.الكناية والتعريض، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تح: عائشة حسين فريد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، (د ط)، 1998م.

49. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت-لبنان، ط3، 1994م.

50. اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، درب سيدنا، الدار البيضاء، ط1، 2006م.

51. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي و بدوي طبانة، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، (د تا).

52. المجيد في إعجاز القرآن المجيد، كمال الدين الزملكاني، تح:شعبان صلاح، دار الثقافة العربية، القاهرة، ط1، 1989.

53. معالم التنزيل في تفسير القرآن تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن فراء البغوي الشافعي، تح: عبد الرزاق مهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420هـ.

54. مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت .لبنان، ط1، 1983م.

55. مفهوم النص (دراسة في علوم القرآن)، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط6، 2005م.

56. مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين (دراسة تاريخية فنية)، أحمد عبد السيد الصاوي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1988م.

57. من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م.

58. المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو محمد القاسم السجلماسي، تح: علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط- المغرب، ط1، 1980م.

59. المنطق الصوري منذ أرسطو حتى عصورنا الحاضرة، علي سامي النشار، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط5، 2000م.

60. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار العرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط3، 1986م.

61. النكت (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، تح: خلف الله و زغلول سلام، دار المعارف، مصر، (د ط)، 1968م،

62. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، تح: نصر الله حاجّي مفتي أوغلى، دار صادر، بيروت، ط1، 2004م.

فهرس الموضوعات

معلومات المقرر: ---------- ----------ص:3.

أهداف المقرر:---------- ----------ص:4_5.

مقدمة: ---------- ----------ص:6-7.

المحاضرة الأولى: علم البلاغة(مفهومه، نشأته وتطوّره، فروعه):----------ص:8-28.

المحاضرة الثانية: أثر الفرق الكلامية في تأصيل البلاغة (المجاز عند المعتزلة): ----ص:30-34.

المحاضرة الثالثة: أسلوب الخبر وأضربه: ------ص:35-40.

المحاضرة الرابعة: أسلوب الإنشائي وأضربه:--ص:41-44.

المحاضرة الخامسة: التقديم والتأخير:--------ص:45-48.

المحاضرة السادسة: الفصل والوصل:---------ص:49-52.

المحاضرة السابعة:الحقيقة والمجاز: ----------ص:53-56.

المحاضرة الثامنة:أنواع المجاز:----------ص:57-65.

المحاضرة التاسعة: أضرب التشبيه: ----------ص:66-75.

المحاضرة العاشرة: الاستعارة: ----------ص: 76-80.

المحاضرة الحادي عشر: الكناية ----------ص: 81-89.

المحاضرة الثانية عشر:المطابقة والمقابلة------ص:90-94.

المحاضرة الثالثة عشر: السجع والجناس -----ص:95-101.

المحاضرة الرابعة عشر: أسلوب القصر -------ص:102-104.

المحاضرة الخامسة عشر: التورية:----------ص:105-107.

خاتمـــــــــــة: ----------ص:108.

قائمة المصادر والمراجع: ----------ص:109-115.

فهـرس الموضوعـــات:----------ص:116-117.